الفصل الأول

سامراء عاصمة بني العباس

١ ـ سامراء عاصمة بني العباس

تقع مدينة سامراء الحالية على الضفة اليسرى من نهر دجلة على مسافة ١٣٠ كيلومتراً شمالي بغداد وهي تبعد زهاء ١٧٥ كيلومتراً عن بغداد بطريق النهر، وقد بنيت على اطلال مدينة « سرّ من رأى » العباسية ، والأخيرة تمتد على طول نهر دجلة الى ابعاد شاسعة فتمتد مسافة تسعة كيلومترات تقريباً جنوبي المدينة الحالية وحوالي الخمسة والعشرين كيلومتراً شماليها ، أي ان مجموع طولها يبلغ زهاء ٣٤ كيلومتر ، أما عرضها فيتراوح بين الكيلومترين والاربعة كيلو مترات ، أي بمعدل ثلاثة كيلو مترات . وعلى هذا الأساس يمكن تقدير مساحة مدينة سامراء العباسية بحوالي مائة وعشرة كيلومترات مربعة . واذا ما أضفنا الى هذه المساحة مساحة حديقة حيوانات المتوكل (حير المتوكل) التي تقع في أقصى الحدود الجنوبية وهي نحو خمسين كيلومتراً مربعاً ، وكذلك مساحة منطقة القادسية الواقعة بجوار الحديقة المذكورة وهي حوالي سبعة كيلومترات مربعة، جاز لنا أن نقدّر مساحة سامراء العباسية بحوالي ١٦٧ كيلومتراً مربعاً . ولو أضفنا الى ذلك مساحة معسكر الاصطبلات القائم على ضفة نهر دجلة اليمنى ، وهي حوالي ٥٨ كيلو متراً مربعاً ، أمكننا اعتبار مجموع مساحة سامراء العباسية ٢٢٥ كيلو متراً مربعاً، أي مايقرب من ٩٠ر٠٠٠ دونم (مشارة)، هذا عدا مشتملات المدينة من بساتين وحدائق وقصور على الجانب الايمن من نهر دجلة وهي المشتملات التي تقع

---

(١) جاء ذكر سامراء في كتاب « مفصل جغرافية العراق » للعلامة السيد طه الهاشمي باضافة اداة التعريف، الا اننا لم نعثر عليها بهذه الصيغة في الكتب العربية القديمة .

بين نهر دجلة ونهر الاسحاقي والتي تمتد على طول ضفة دجلة الغربية مقابل « سرّ من رأى » . ولا شك ان هذه المساحة الهائلة تجعل مدينة « سرّ من رأى » في عداد أكبر مدن العالمين القديم والحديث ، وهذا ما حمل ياقوت الحموي على القول بأنها « صارت أعظم بلاد الله » والقزويني على الحكم بأنه « لم يكن في الارض أحسن ولا أجمل ولا اوسع ملكا منها » . واذا ما لاحظنا ان مساحة مدينة القاهرة بما فيها مصر الجديدة — وهي اكبر عاصمة في الشرق العربي في الوقت الحاضر حيث يبلغ عدد سكانها مليونين وثلث المليون نسمة — لا تزيد على ٤٠٠ر٠٠٠ فدان مصري (٦٧ر٠٠٠ دونم عراقي) وان مدينة بغداد الحالية لا تزيد مساحتها على الستين كيلو متراً مربعاً (٢٤ر٠٠٠ دونم عراقي) اتضح لنا ماكان لمدينة « سرّ من رأى » من اتساع من حيث المساحة ومن حيث عدد السكان .

أسست مدينة سامراء العباسية في زمن الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد[1]

---

(١) هو أبو اسحق محمد الملقب بالمعتصم بالله ، ولد في الخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة للهجرة ، وبويع له يوم وفاة أخيه المأمون في ١٢ رجب عام ٢١٨ هـ . وكان ابيض اصهب اللحية طويلها ومربوعها مشرب اللون ، فكان شديد البأس يحمل الف رطل ويمشي بها ، ويقال انه حمل باباً من حديد فيه سبعمائة وخمسون رطلا وخطا خطى كثيرة ، وانه اعتمد على غلام فدقه . كما انه كان سديد الرأي قاسياً بذل اقصى جهوده في ترسم خطط أخيه ، ولكن اشتم خطأ ارتكبه هو ادخاله الاتراك في الدواوين وتشكيله فرقاً عسكرية منهم ومن الأجانب الذين كانوا سبباً مباشراً في اضعاف سلطان الخلافة وتقويض دعائمها . وكان يطلق على الذين يأتون من وراء النهر أهل فرغانة وعلى الذين يأتون من اليمن وافريقيا اسم المغاربة . وقد اصبح هذا الجيش في عزلة تامة عن جيوش العرب والفرس وصار للاتراك من القوة حتى اصبح بيدهم بعد مدة وجيزة عزل الخلفاء وتعيينهم حسب رغباتهم واهوائهم .

وكان المعتصم موفقاً في حروبه وغزواته ففي عهده فتحت عمورية وقمعت ثورة المازيار امير طبرستان كما قمعت ثورة بابك الخرمي

وكان المعتصم اغلظ الخلفاء الذين الزموا الناس القول بخلق القرآن واجبار العلماء على هذا القول . ولعل ذلك كان من جملة الاسباب التي حملت المعتصم على الانتقال الى سامراء ،=

سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦م) وهو ثامن خلفاء العباسيين ليجعلها عاصمة جديدة لملكه العظيم، ثم وسّعها ابنه الواثق وأوصلها الى أوج عظمتها واقصى اتساعها المتوكل، إلا ان المدينة تركت بعد ذلك واعاد المعتمد مقر الخلافة الى بغداد، ولم يكن قد مر عليها اكثر من أربع وخمسين سنة ملك خلالها ثمانية من خلفاء بني العباس وهم:

١ ـ المعتصم (٢١٨ـ٢٢٧ هـ) = (٨٣٣ـ٨٤٢ م)
٢ ـ الواثق (٢٢٧ـ٢٣٢ هـ) = (٨٤٢ـ٨٤٧ م)
٣ ـ المتوكل (٢٣٢ـ٢٤٧ هـ) = (٨٤٧ـ٨٦١ م)
٤ ـ المنتصر (٢٤٧ـ٢٤٨ هـ) = (٨٦١ـ٨٦٢ م)
٥ ـ المستعين (٢٤٨ـ٢٥١ هـ) = (٨٦٢ـ٨٦٦ م)
٦ ـ المعتز (٢٥١ـ٢٥٥ هـ) = (٨٦٦ـ٨٦٩ م)
٧ ـ المهتدي (٢٥٥ـ٢٥٦ هـ) = (٨٦٩ـ٨٧٠ م)
٨ ـ المعتمد (٢٥٦ـ٢٧٩ هـ) = (٨٧٠ـ٣٩٢ م)

ويقول حمد الله المستوفي (٧٤٠ هـ = ١٣٤٠ م) ان مدينة سامراء انشأها في الاصل سابور الثاني ذو الاكتاف (٣٠٩ - ٣٧٩ م)، ولما كان اقليمها طيباً عرفت بـ «سرّ من رأى»، ويقال ان الناس خفّفوا هذه التسمية فقالوا «سامراء»، وقد ذكرها البحتري شاعر المتوكل بهذه الصيغة في قصيدته المتعلقة باعدام بابك الخرمي:

«اخليت منه البذّ وهي قراره ونصبته علما بسامراء»

ويقول اليعقوبي ان اسم سامراء في الكتب المتقدمة «زوراء بني العباس».

= حيث ان انتصاره للمعتزلة جعل مسلمي بغداد ان ينظروا اليه بغير العين التي كانوا يرمقونه بها سابقاً. وكانت وفاة المعتصم في «سر من راى» يوم ١٨ ربيع الاول سنة ٢٢٩، فملك بعده ابنه هارون الواثق.

وقصة انشاء مدينة سامراء بالسرعة التي اقيمت فيها ثم هجرانها على حين غرة من الامور التاريخية التي تستوقف النظر. فقد نشرت دائرة الآثار العراقية مقالة تحت عنوان «قصة سامراء» ننقل منها النبذة التالية قالت : « قصة مدينة سامراء من اغرب وامتع قصص المدن في التاريخ : قطعة أرض قفراء ، على ضفة مرتفعة من نهر دجلة ، لا عمارة فيها ولا أنيس بها إلا دير للنصارى ... تتحول ـ في مثل لمح البصر ـ الى مدينة كبيرة ، لتكون عاصمة لدولة من اعظم الدول التي عرفها التاريخ ، في دور من ألمع أدوار سؤددها ... تنمو هذه المدينة وتزدهر بسرعة هائلة ، لم ير التاريخ مثلها في جميع القرون السالفة ، ولم يذكر ما يماثلها بعض المماثلة ، إلا في القرن الأخير ـ في بعض المدن التي نشأت تحت ظروف خاصة ـ في بعض الاقسام من العالم الجديد . غير ان هذا الازدهار العجيب لم يستمر مدة طويلة ، لأن المدينة تفقد (صفة العاصمة) التي كانت علة وجودها وعامل كيانها قبل أن يمضي نصف قرن على نشأتها ، فتأخذ في الاقفرار والاندراس بسرعة هائلة ، لا تضاهيها سرعة ، ، وبعد ان كان الناس يسمونها باسم « سرّ من رأي » أضحوا يسمونها ساء من رأى ، وبعد ان كان الشعراء يتسابقون في مدح قصورها أخذوا يسترسلون في رثاء اطلالها ، وفي الواقع ماتت سامراء ميتة فجائية بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن ، وأمست رموساً وأطلالها هائلة تمتد اليوم أمام أنظار الزائر ، وتتوالى تحت اقدام المسافر الى أبعاد شاسعة لا يقل امتدادها عن الخمسة وثلاثين من الكيلو مترات . وعندما يتجول المرء بين هذه الاطلال المترامية الاطراف ، ويتأمل في السرعة العظيمة التي امتاز بها تأسيس مدينة سامراء وتوسعها من جهة ، واقفرارها من جهة أخرى ، لا يتمالك نفسه من التساؤل عن العوامل التي سيطرت على مقدرات هذه المدينة العظيمة ، وصيرت قصة حياتها بهذا الشكل الغريب ».

اما الأسباب التي حملت المعتصم على نقل مقر العاصمة من بغداد الى سامراء

هو ان وجود الجنود الاتراك المأجورين في بغداد قد خلق مشاكل هناك « فكان أوائك الاتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يميناً وشمالاً فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضاً ويضربون بعضاً وتذهب دماؤهم هدراً لا يعدون على من فعل ذلك فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد فخرج ... حتى صار الى موضع سرّ من رأى وهي صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة فيها ولا أنيس فيها إلا دير للنصارى فوقف بالدير وكلم من فيه من الرهبان ، وقال ما اسم هذا الموضع فقال له بعض الرهبان : نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سرّ من رأى وانه كان مدينة سام بن نوح وانه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر ... فقال أنا والله ابنيها وانزلها ... »(١) وقد عوّض هؤلاء عن أراضي الدير أربعة آلاف دينار . ويظهر ان المعتصم بنى في مكان هذا الدير القصر الذي عرف فيما بعد بـ « دار العامة » أو « دار الخليفة ».(٢)

وبنى المعتصم في مقر عاصمته الجديدة قصوراً وبيوتاً ومساجد وأسواقاً ودواوين جلب معظم احجارها وزخارفها من خارج العراق ، وقد شيد فيها ثكنات لسكن ٢٥٠ الف جندي واصطبلات واسعة لاستيعاب ١٦٠ الف حصان(٣) ، كما قطع القطائع الى القواد الذين بنوا لهم قصوراً فخمة ، وأنشأ بساتين غناء غرست فيها أشجار مختلفة مثمرة من عدة فواكه . وقد توسعت المدينة على يد أخلاف المعتصم وعلى الاخص منهم المتوكل الذي دام حكمه مدة

---

(١) البلدان لليعقوبي (طبعة النجف) ص ٢٣ـ ٢٤

(٢) جاء في تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثالث (طبعة النجف) ص ١٩٨ ما يلي : « وقف المعتصم في الموضع الذي فيه دار العامة وهناك دير للنصارى فاشترى من اهل الدير الأرض واختط فيه » .

(٣) سيد الامير علي في « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » الترجمة العربية ص ٢٤٣

خمسة عشر عاماً ، وبذلك امتدت المدينة حتى بلغ طولها حوالي ٣٤ كيلو متراً كما اسلفنا .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد هو انه بعد أن هجرت سامراء على عهد الخليفة المعتمد واعيد مقر عاصمة الامبراطورية العباسية الى بغداد جرت محاولة لارجاع مقرها الى سامراء مرة أخرى ، وذلك في زمن المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥ هـ = ٩٠٢-٩٠٨) ، إلا انه بعد أن قصد المكتفي مدينة سامراء في سنة ٢٩٠ هـ وعزم على البناء بها والانتقال اليها صرفه القاسم بن عبيدالله عن رأيه هذا فعدل عنه ورجع الى بغداد . وقد نقل خبر ذلك الطبري الذي كان معاصراً لعهد المكتفي قال : « ولعشر بقين من جمادي الآخرة (سنة ٢٩٠) خرج المكتفي بعد العصر عامداً سامراء مريداً البناء بها للانتقال اليها فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادي الآخرة ثم انصرف الى مضارب قد ضربت له بالجوسق فدعا القاسم بن عبيدالله والقوام بالبناء فقدروا له البناء وما يحتاج اليه من المال للنفقة عليه فكثروا عليه في ذلك وطولوا مدة الفراغ مما أراد بناءه وجعل القاسم يصرفه عن رأيه في ذلك ويعظم أمر النفقة في ذلك وقدر مبلغ المال فثناه عن عزمه ودعا بالغداء فتغدى ثم نام فلما هبّ من نومه ركب الى الشط وقعد في الطيار وأمر القاسم بن عبيد الله بالانحدار ورجع أكثر الناس من الطريق قبل أن يصلوا الى سامراء حين تلقاهم الناس راجعين . »(١)

ولمدينة سامراء منزلة جليلة لأنك تجد فيها ضريحي الامام علي الهادي وولده حسن العسكري (ع) في حضرة عظيمة وسط صحن كبير سوّره وطلى قبته بالذهب السلطان ناصر الدين شاه في عام ١٢٨٥ هـ كما هو مدوّن على أربعة اركان القبة ، وكان الامام علي الهادي (ع) يسكن سامراء في أيام المعتصم بالله فلما توفي سنة ٢٥٤ هـ دفن في بيته ، ولما توفي الحسن العسكري (ع) سنة ٢٦٠ هـ دفن

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٢٢٢٣) .

الى جواره . وقد انشأ الحضرة في حدود عام ١٢٠٠ للهجرة اخوة ثلاثة من أهل خوي وسلماس ورومية وكان الانشاء والتعمير برعاية الحاج مرزة محمد السلماس المتوفي في سنة ١٢١٩ هـ . (١) والى جانب هذين الضريحين يشاهد سرداب غيبة صاحب الزمان الامام الثاني عشر المنتظر ، وهذا السرداب معروف باسم غيبة المهدي وفيه باب خشبي جميل من عهد الخليفة العباسي أبي العباس احمد الناصر لدين الله (٦٠٩هـ = ١٢٠٦م) وقد مضى على صنعه اكثر من سبعة قرون.(٢)

ويحيط بسامراء سور ضخم مضلع الشكل يميل الى الاستدارة يبلغ طول محيطه كيلو مترين ولا يتجاوز قطره الاعظم ٦٨٠ متراً . وقد أقام هذا السور في حدود سنة ١٨٣٤ م زين العابدين بن السلماس وقد انفق على تعميره أحد ملوك الهند ، ولهذا السور أربعة أبواب متقابلة ولكل باب اسم يعرف به ، فالباب الشمالي يسمى « باب الناصرية » نسبة الى ناصر الدين شاه الذي زار سامراء ، والباب الثاني الذي من جهة القبلة يدعى « باب النواب » لأن الأراضي المجاورة له تعود الى النواب نوازش علي خان اللاهوري (من الهند) ، والباب الثالث وهو الغربي يسمى « باب الساقية » وسبب هذه التسمية أن مثريا ايرانيا كان قد أقام كرداً على نهر دجلة يدفع الماء الى ساقية تدخل في هذا الباب، وتصب قرب باب الصحن الشريف ، ويسمي الباب الرابع بـ « باب الملوية » لأنه يؤدي الى منارة الملوية . (٣)

٢ ـ موقع سامراء في عصور ما قبل التاريخ

اجريت اعمال السبر (التنقيب) الاركيولوجي في سامراء من قبل الدكتور هرزفلد في موسم ١٩٣٠ — ١٩٣١ ضمن نطاق المقبرة التي كانت قد ظهرت للعيان في

---

(١) الأستاذ السيد عبد الرزاق الحسني في كتاب « العراق ، قديماً وحديثاً » ص ٨٠ـ٩١

(٢) راجع نشرة دائرة الآثار « باب الغيبة في سامراء » الصادرة سنة ١٩٣٨

(٣) راجع البحث التالي الخاص بمنارة الملوية في هذا الفصل

بقعة شبّة الحاوي[1] المطلة على نهر دجلة والواقعة في القرب من شريعة باب الناصرية شمالي سامراء الحالية على مسافة ميل واحد من بيت الخليفة جنوباً ، وذلك نتيجة تنقيب سابق كان الدكتور هرزفلد قد قام به في سنة ١٩١٢ـ١٩١٣ فثبت في نهاية تلك الاعمال ان كلا من القبور والفخار المصبوغ الذي وجد فيها يعود الى أزمان الدور الحجري المتأخر أو العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثي) ، وربما كان يمثل نوعاً من ذلك الفخار الذي يعود الى الايرانيين الذين عاشوا في عصورما قبل التاريخ . وقد عرف العصر الذي تعود اليه مقبرة سامراء هذه بـ « عصر حلف » (٥٠٠٠ـ٤٥٠٠ سنة ق . م)،وهو العصر الذي يلي العصر الحجري الحديث والذي تمتاز آثاره بزخرفة الأواني المفخورة وبرقي اشكالها وتعدد الوانها . وعلاوة على هذا النوع من الأواني الفخارية فقد ترك لنا أهل (حضارة حلف) دمى من الطين المشوي غريبة الصنع وكمية كبيرة من الحروز المنقوشة وأول نوع من الختوم المنبسطة . ويستدل من القطع المعدنية الصغيرة القليلة انهم كانوا في بدء معرفتهم المعدن . وقد جاءت تسمية عصر حلف من الموقع المسمى « تل خلف » (الاسم الشائع الآن « تل حلف » محرفاً) الواقع في سوريا عند أعالي نهر الخابور « خابور الفرات على بعد حوالي ١٤٠ ميلا من شمال غربي نينوى حيث اكتشف البارون فون اوبنهايم طائفة كبيرة من الأواني القديمة المزخرفة تحت انقاض قصر يرتقي تاريخه الى العصر الحثي . وتدل ظواهر الحال على ان هذه الأواني تعاصر فخار سامراء الآنف الذكر .

وقد عثرنا أثناء تدقيقاتنا لآثار سامراء على فخار يعود الى عصر ما قبل التاريخ أيضاً، وهو من نفس الفخار الذي في بقعة شبّة الحاوي ، وذلك في التل المعروف بأسم « تل الصوان » الواقع على نهر دجلة جنوبي سامراء في جوار

---

(١) وردت في نشرة دائرة الآثار (تقرير عن التنقيبات في العراق خلال الفصول ١٩٢٩ـ ١٩٣٢ ، ص ٤٤) « شبة الهوى » والصحيح « شبة الحاوي » ، أي الحد المرتفع للحاوي .

منارة القائم .[1] ويعد الاتصال بالبروفسور هرزفلد واعلامه بذلك كتب الينا مؤيداً ما توصلنا اليه من وجود هذا الفخار في المكان المذكور ، وأضاف الي تأييده هذا قائلاً بأن هذه الآثار هي من بقايا مقابر قديمة ترجع الى عصر ما قبل التاريخ وليس فيها مايدل على بقايا أبنية تعود الى ذلك العصر .

يتضح مما تقدم أن المنطقة التي انشئت فيها مدينة «سرّ من رأى» العباسية كانت مأهولة منذ أقدم الأزمنة وترجع حضارتها الى عصور سحيقة في التاريخ. لذلك فان ماجاء في نشرة مديرية الآثار القديمة العامة عن حفريات سامراء (الجزء الاول ص ٤) من ان « اطلال سامراء تعود الى دور معين محدود لم يسبقه دور بناء أقدم منه» لايصح قبوله بعد العثور على الآثار (القبتاريخية) التي مر ذكرها .

٣ - سبب اختيار المعتصم موضع سامراء دون غيره

اما سبب اختيار المعتصم موضع سامراء دون غيره فيرجع الى عوامل عدة اهمها عاملان ، عامل الري وعامل المياه . واذا تتبعنا خطواته عندما خرج متحرياً عن موضع ملائم لعاصمته الجديدة نجد انه اختار عدة مواقع وقد انشأ البناء في بعضها ثم عاد فعدل عنه حتى انتهى الى موضع سامراء فاتخذه مقراً لعرش خلافته وعاصمة امبراطوريته المترامية الاطراف . والذي نراه ان قضية المياه كانت العامل الرئيسي بالنسبة الى هذا التردد ، ولا شك ان الخبراء الذين كانوا برفقة المعتصم هم الذين أشاروا عليه بان يتخذ موقع سامراء مقراً لعاصمته، لأن هذا الموقع يمتاز في الدرجة الأولى بمميزاته الستراتيجية لوقوعه في مكان تحيط به المياه من كل أطرافه، فتشكل هذه المياه سوراً دفاعياً يحيط بالمدينة من كل اطرافها. فنهر دجلة يلازمها من جهة الغرب فيسير في حذائها من اقصى حدودها الشمالية الى اقصى حدودها الجنوبية، وذلك يؤمن الاتصال بالمدينة نهراً وشحن البضائع التجارية والاموال والمؤون اليها عن طريق النهر سواء أكان ذلك من شمال العراق أو من

(١) راجع رسم رقم ١٣ ولوحة رقم ٢

جنوبه . هذا وفي الوقت نفسه ان الاراضي التي تقع فيها مدينة سامراء تؤلف جرفاً يرتفع عن سوية مياه النهر عدة امتار مما يجعل المدينة في مأمن من خطر الغرق ، ولا يخفى أن خطر الغرق في موسم الفيضان كان مصدر قلق شديد في مدينة بغداد حيث كانت المدينة معرضة الى خطر الغرق من الجهتين الغربية والشرقية.(١) لذلك فان وقوع منطقة سامراء في مكان محاذ الى النهر وفي الوقت نفسه بعيد عن خطر الفيضان كان من العوامل القوية التي ادت الى اختيار هذا المكان لانشاء العاصمة فيه .

هذا من جهة الغرب ، أما من الجهات الاخرى فان مجرى النهروان (مجرى الرصاصي أو القاطول الكسروي) الذي يتفرع من نهر دجلة من شمال مدينة سامراء يجري بموازاة نهر دجلة متجهاً نحو نهر العظيم فيحيط بالمدينة من الجهتين الشمالية والشرقية ، كما ان مجرى نهر القائم الاسفل الذي يتفرع من نهر دجلة من جنوب مدينة سامراء ثم يلتقي بمجرى الرصاصي قبل وصوله الى العظيم بقليل يحيط بالمدينة من الجهة الجنوبية .(٢)

ولما كان لهذين المجريين ضفاف مرتفعة جداً وان المياه كانت تجري في حوضيهما من دون انقطاع فقد اصبح الموقع الذي تقع فيه سامراء محاطاً بالمياه والاسوار من كل أطرافه . لذلك كان يكفي ان يقام سور يمتد على عرض المدينة بين مجرى الرصاصي ونهر دجلة اذا ما اقتضى فصل أي قسم من مدينة « سرّ من رأى » ، وهذا ما فعله المتوكل بعد أن أنشأ مدينة المتوكلية في اقصى الشمال اذ

---

(١) ان أول ذكر جاء لفيضان دجلة وخطره على مدينة بغداد كان في موسم فيضان سنة ٢١٩ هـ حينما كان المعتصم يريد القاطول ويريد البناء في سامراء فقد صرفه حينئذ عن قصده كثرة زيادة دجلة فامتنع عن الحركة وانصرف الى بغداد الى الشماسية حتى نزلت المياه الى مجاريها فعاد هو الى قضاء اعماله (راجع تاريخ الطبري ٣ـ ١١٨٤)

(٢) حول مجرى النهروان وتفرعاته ، راجع البحث عن تاريخ النهروان وتطوراته في الفصل الثاني .

أقام سوراً عند مدخل المدينة يمتد من ضفة نهر الرصاصي اليمنى الى ضفة نهر دجلة اليسرى ، وبذا تمكن من عزل المدينة تماماً وتحويطها بالاسوار ومجاري المياه من كل أطرافها . (١) وأخيراً فان المجال لتوسع المدينة على سطح هـذه الجزيرة المحاطة بالمياه كان كبيراً جداً، حيث ان مساحتها تبلغ من السعة بحيث يمكن التوسع فيها الى مقياس واسع جداً دون أن يضيق بها المكان ، فان فيها من المجال مايساعد على ان تمتد الى مسافة حوالي الستين كيلو متراً في الطول بمحاذاة نهر دجلة ومجرى الرصاصي، كما أن فيها من المجال للتوسّع عرضاً الى مسافة تتراوح بين الكيلو مترين والخمسة عشر كيلو متراً، وقد اشغل فعلاً القسم الاكبر من هذه المساحة .

وكان للنهروان منذ القديم مميزات عسكرية مهمة الى فوائده الزراعية ، فقد كان في زمن الفرس حصناً منيعاً يحمي بلاد فارس من غزوات الرومان ، حتى أن الفرس احتموا به في هجومهم على الرومان المتراجعين سنة ٣٦٣ م وذلك حين انتصر الفرس على الرومان على أثر مقتل الامبراطور جوليان في تلك المعارك، وقد شهد النهروان وقائع كثيرة بالنظر لمناعته فاتخذه الخوارج مأوى يحتمون به حين نازعوا علياً بن أبي طالب (ع) على الخلافة غير انهم هزموا شر هزيمة في المعركة الحاسمة التي وقعت سنة ٣٨ هـ والمعروفة بـ «واقعة النهروان .»

وتتضح لنا أهمية هـذا الموقع من الناحية العسكرية الستراتيجية حين نلاحظ ان الفرس اتخذوا موقع سامراء مركزاً عسكرياً ، حيث أنشأوا فيه الحصن المعروف بأسم « حصن سومير » (Sumere) ، وهو الحصن الذي جاء ذكره بمناسبة تراجع الجيوش الرومانية بعد مقتل جوليان سنة ٣٦٣ م .

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بمدينة المتوكلية في هذا الفصل

٤ـ المرحلة الاولى لانشاء مدينة سامراء ـ عهد المعتصم والواثق

ويمكن القول بأن مدينة سامراء قد اجتازت مرحلتين في تاريخ إنشائها ، المرحلة الأولى تشتمل على الاعمال العمرانية التي قام بها الخليفتان المعتصم والواثق ، والمرحلة الثانية تشمل التوسعات التي أضافها المتوكل في زمن خلافته . أما الأعمال التي انجزت في زمن المعتصم فهي تأسيس المدينة وتنظيمها ، فقسم المعتصم المدينة الى أحياء وقطائع أسكن في كل حي صنفاً من جيشه وعنى بعزل الجيش ودواوين الحكومة عن الأهلين. ويدل تخطيط المدينة على براعة فائقة في هندسة تخطيط المدن كما ان فيه كثيراً من الابتكار كما يتجلّى ذلك في تنظيم الشوارع والمساكن وتنسيق الأبنية العامة والاسواق والمتاجر والمساجد والارصفة وغيرها . وقد بلغ طول البناء الذي أقيم في زمن المعتصم زهاء أربعة فراسخ (١٩ كيلومتراً) ، فرسخان من شمال مكان مدينة سامراء الحالية وفرسخان (١٠ كيلو مترات) من جنوبه . وقد مدّت عدة شوارع عامة متوازية على طول هذه المسافة كما مدت دروب عدة عن يمين ويسار هذه الشوارع للاتصال بين شارع وآخر ، وأقيمت البنايات والدور والقطائع والاسواق والعمارات بين الشوارع العامة . وعزل المعتصم قطائع الاتراك عن قطائع الناس جميعاً وجعلهم معتزلين عنهم ولا يجاورهم إلا الفراغنة ، واقطع اشناس واصحابه في آخر البناء من الشمال في الموضع المعروف بـ« الكرخ » أو « كرخ سامراء ».(١) وضم عدة

(١) لا تزال آثار هذه القطيعة وبقايا ابنيتها يمكن مشاهدتها على بعد حوالي عشرة كيلومترات من شمال مدينة سامراء الحالية ، حيث لا يزال سور فخم من اللبن يعلو نحو خمسة امتار ويعرف بـ « سور اشناس » قائماً في ذلك المكان وهو يضم آكاما يستدل من تناسق مظهرها انها بقايا قصر كان قد انشىء ضمن السور . وقد ذكر ياقوت في معجمه ان الموضع « كان يقال له كرخ فيروز منسوب الى فيروز بن بلاش بن قباذ الملك وهو اقدم من سامراء فلما بنيت سامراء اتصل بها وهو الى الآن باق عامر وخربت سامراء كان الاتراك الشبلية ينزلونه في ايام المعتصم وبه قصر اشناس التركي مولى المعتصم وهو موضع مدينة قديمة على ارتفاع من الأرض ، وزعم بعضهم انه كرخ =

من قواد الاتراك والرجال ومنعهم من الاختلاط بالناس وقد أقطع قوماً آخرين فوق الكرخ وسماه « الدور » ، كما اقطع الافشين الاسروشني في آخر البناء جنوباً وسمى الموضع « المطيرة » ، فاقطع أصحاب الاسروشنية وغيرهم من المضمومين اليه حول داره وأمره أن يبني فيما هناك سويقة فيها حوانيت للتجار فيما لا بد منه ومساجد وحمامات(١). وبعد ان قتل الافشين اقطع الخليفة هارون الواثق داره التي في المطيرة الى وصيف وانتقل وصيف عن داره القديمة اليها .

وكان يعرف مكان الدور الذي في الحد الشمالي من البناء بـ « دور العربايي » أو « دور عربايا » لتميزه عن مكان آخر يقع في نفس المنطقة ومعروف باسم الدور أيضاً ، والأخير يقع على بعد عشرين كيلو متراً تقريباً من دور العربايي شمالاً وفيه على مايزعم أهل سامراء قبر الامام محمد الدوري من أولاد موسى بن جعفر عليهما السلام ، وقد سماه ابن سرابيون دور الحارث كما سماه ياقوت دور تكريت لتمييزه عن دور العربايي . ومما قاله ياقوت عن دور تكريت انه « ينسب اليها محمد بن فروخان بن روزبه ابو الطيب الدوري حدث عن أبي خليفة وغيره أحاديث منكرة ، روى عن الجنيدي حكايات في التصوف . » وقد اطلق ياقوت على مكان دور تكريت أيضاً اسم « الدور الاعلى » وذكر انه معروف بالخربة وهو أسفل قرية هاطرى الواقعة جنوب تكريت ، غير أن ابن حوقل اعتبر أن هناك مكانين قريبين من بعضهما أولهما يسمى دور العربايي والثاني دور الخرب . وذكر البلاذري « ان أمير المؤمنين المعتصم بالله انزل اشناس مولاه

= باجدا ومنه الشيخ معروف بن الفيرزان الكرخي الزاهد » .

وبلي هذا السور سور يماثله يقع في الجهة الشمالية الغربية منه يعرف بأسم «سور الشيخ ولي» وفي داخل هذا السور بقايا بعض البناء ، وتسمى البقعة التي يقوم فيها السور بأسم «الزنكور» ، وكلمة زنكور فارسية معناها «مقام النساء» ، فاذا جاز لنا ان نبني على هذا المعنى رأياً حول هذا المكان امكن القول انه كان يشتمل على الابنية المخصصة لعوائل القواد والجيش .

(١) كتاب البلدان لليعقوبي (طبعة النجف) ص ٢٦٦

فيمن ضم اليه من القواد كرخ فيروز ، وانزل بعض قواده الدور المعروفة بالعرباني » . وقد اشار المقدسي الى مكان آخر في سامراء باسم الدور أيضاً سماه «الدور الجامعين» من مدن سامراء ، ولعلّ هذا المكان هو « دور العرباني » الذي في كرخ سامراء . وقد أشار ياقوت الى مكان آخر باسم « دور بني اوقر » وهو من مدن دجيل يقع على بعد خمسة فراسخ من بغداد وكان الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بنى فيه جامعاً ومنارة . ويظهر من كتابات لي سترانج انه كان يظن بان دور العرباني ودور تسكريت ودور الحارث كلها تشير الى مكان واحد وهو مدينة دور الشمالية التي زعم ان قبر الامام محمد الدوري فيها ، على حين ان دور العرباني تقع خلف قطيعة اشناس وقد اطلق عليها اسم الدور في عهد المتوكل أيضاً .

ويظهر ان المنطقة التي تقع فيها الدور (دور العرباني) كانت منذ القديم مأهولة حيث ذكر ياقوت بان هناك ديراً يعرف باسم ديرالطواويس وجد في هذه المنطقة في زمن الفرس، وقد كان قبل ذلك منظرة لذى القرنين أو للاكاسرة، وفيما يلي نص ما كتبه ياقوت في هذا الصدد قال : « دير الطواويس بسامراء متصل بكرخ جدان يشرف عند حدود آخر الكرخ على بطن يعرف بالبنّي فيه مزدرع يتصل بالدور وبنيانها وهي الدور المعروفة بدور عربايا وهو قديم كان منظرة لذى القرنين ويقال لبعض الاكاسرة فاتخذه النصارى ديراً في أيام الفرس » .

أما المطيرة التي في الحد الجنوبي من البناء فلا يزال موضعها غير معين بصورة مضبوطة نظراً لوقوع دار الافشين بين الخرائب الكثيرة التي في القسم الجنوبي لسر من رأى ، إلا ان اليعقوبي ذكر بأن دار الافشين التي بالمطيرة تقع على بعد فرسخين (حوالي عشرة كيلو مترات) من آخر حدود بناء سرّ من رأى في الجنوب . ثم أضاف الى ذلك قوله ان المتوكل انزل في عهد خلافته ابنه المعتز

خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له « بلكوارا »، اما المطيرة فأنزل فيها ابنه ابراهيم المؤيد . ولما كان قصر بلكوارا قد عيّن موضعه في المكان المعروف بـ «المنقور» وهو القصر الذي في آخر حدود الأبنية من الجنوب(١)، فعلينا أن نتحرى عن مكان المطيرة في شمال القصر مباشرة . ومن المحتمل أن يكون مكان المطيرة في الموضع الحالي المعروف باسم « سور الجبيرية » بدليل أنه لا يوجد بناء أعمر منه في هذه المنطقة (راجع لوحة رقم ٢) . وقد أيد الشابشتي في كتاب « الديارات » وقوع المطيرة على مسافة فرسخين من جنوب سرّ من رأى حيث قال: « وبين القادسية وسرّ من رأى أربعة فراسخ ، والمطيرة بينهما ، وهذه النواحي كلها متنزّهات وكروم وبساتين . »

وقد ورد في المراصد ان « المطيرة قرية من نواحي سامراء كانت من متنزّهاتها بنيت في آخر خلافة المأمون بناها مطير بن قزازة الشيباني فنسبت اليه وهي مذكورة في اشعار الخلفاء » ، كما جاء في كتاب «آثار البلاد واخبار العباد» للقزويني ان « المطيرة من قرى سامراء اشبه ارض الله بالجنان من لطافة الهواء وعذوبة الماء وطيب التربة وكثرة الرياحين وهي من متنزهات بغداد يأتيها أهل الخلاعة ، وصفها بعض الشعراء فقال :

سقياً ورعياً للمطيرة موضعاً أنوارها الخيرى والمنثور »

وجاء ذكر المطيرة وقصر الافشين الذي فيها بمناسبة ذكر حادثة أسر بابك ووصوله الى سر من رأى مع الافشين سنة ٢٢٣ هـ .فذكر ابن الأثير ان الافشين انزل بابك عنده في قصره بالمطيرة وقد أمر المعتصم ان يشهر بابك فيركب على الفيل وقد اصطف الناس من باب العامة « دار الخليفة » الى المطيرة (٢) .

وقد ذكر ياقوت ان هناك ديراً يعرف باسم « دير عبدون » يقع الى جنوب

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بقصر بركوارا « المنقور » في هذا الفصل .
(٢) ابن الأثير ، الجزء السادس ، ص ١٩٣، ١٩٥

المطيرة فقال عنه انه « بسرّ من رأى الى جنب المطيرة وسمي بدير عبدون لأن عبدون أخا صاعد بن مخلد كان كثير الالمام به والمقام فيه فنسب اليه وكان عبدون نصرانياً واسلم أخوه صاعد على يد الموفق واستوزره وفي هذا الدير يقول ابن المعتز الشاعر :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطّال من المطر »

أ ـ شارعا الخليج والسريجة

وأول الشوارع العامة التي مدّت على طول المدينة غرباً الشارع الذي على دجلة وكان يعرف بـ « شارع الخليج » ، « وهناك الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد من البصرة والابلة والأهواز وما اتصل بذلك ومن الموصل وبعربايا وديار ربيعة وما اتصل بذلك . وفي هذا الشارع قطائع المغاربة كلهم أو اكثرهم والموضع المعروف بالازلاخ الذي عمر بالرجالة المغاربة في أول ما اختطت سرّ من رأى »(١). والشارع الثاني الذي يلي شارع الخليج شرقاً هو الشارع الرئيسي للمدينة فكان يعرف في أول الامر بأسم شارع السريجة ثم سمي « الشارع الاعظم » . وكان يمتد هذا الشارع في عهد المعتصم مسافة ١٩ كيلومتراً تقريباً من آخر البناء في المطيرة جنوباً الى آخر البناء في قطيعة اشناس ودور عربايا شمالاً ، وعلى طرف هذا الشارع انشئت العمارات من قطائع وأسواق ودواوين وقصور ومساجد، كما انه فتحت عدة دروب من جهتيه بعضها ينفذ الى شارع الخليج أو الى دجلة من جهة الغرب والبعض الآخر ينفذ الى الشارع الموازي اليه من جهة الشرق وهو الشارع المسمى « شارع أبي أحمد » . وهكذا كانت العمارات والقطائع تمتد في الطول بين شارع السريجة الاعظم وبين شارع الخليج من جهة الغرب وبين شارع السريجة وشارع أبي أحمد من جهة الشرق .

(١) كتاب البلدان لليعقوبي (طبعة النجف) ص ٢٥٠

١ — الواديان ـ وادي ابراهيم بن رياح ووادي اسحق بن ابراهيم

وكان يخترق شوارع المدينة التي كانت تمتد على طول ضفة دجلة اليسرى واديان، احدهما في الشمال ويسمى «وادي ابراهيم بن الرياح» والآخر في الجنوب ويسمى «وادي اسحق بن ابراهيم». وكان هذان الواديان يبدآن في الاراضي المتموجة التي في شرق المدينة فيسيران غرباً حتى ينتهيا في دجلة، وبذلك كانا يأخذان بالمياه التي تتجمع في الأراضي المذكورة فيصبانها في دجلة. اما موقعا هذين الواديين بالنسبة الى مدينة سامراء الحالية، فقد دلتنا تتبعاتنا على ان الوادي الشمالي (وادي ابراهيم بن الرياح) يقع على بعد زهاء ستمائة متر من سور اشناس جنوباً، فيبدأ من شمال تل العليق بالقرب من القاطول الأعلى ثم يسير باتجاه الشمال الغربي حتى يصب في دجلة جنوب النهر القديم المعروف بـ «نهر مرير» في نقطة تقع على مسافة حوالي تسعة كيلو مترات من مدينة سامراء الحالية شمالاً. واما الوادي الجنوبي (وادي اسحق بن ابراهيم) فيبدأ في الأراضي المتموّجة التي في شرقي سامراء الحالية ثم يسير غرباً حتى ينتهي في دجلة في نقطة تقع على مسافة ٥ر١ كيلو متراً من مدينه سامراء الحالية جنوباً.

ولا يزال هذان الواديان يكوّنان مجمعاً لمياه السيول في المنطقة التي تمتد بين سور اشناس شمالاً والمطيرة جنوباً، ويعرف الوادي الجنوبي في الوقت الحاضر باسم «وادي الموح» في حين ان الوادي الشمالي لا يعرف باسم خاص به.

ويلاحظ ان هرزفلد رسم هذين الواديين في خارطته التقريبية التي رسمها عن سامراء استناداً الى وصف اليعقوبي للمدينة في غير المكانين المذكورين، فرسم وادي ابراهيم بن رياح في شمال سور اشناس في حين انه رسم وادي اسحق ابن ابراهيم في شمال سامراء الحالية، وهذا بعيد عن الواقع حيث لا ينطبق لا على وصف اليعقوبي ولا على الوضع الطبيعي الحالي الذي يرجّح انه احتفظ بشكله الأصلي الى حد بعيد (راجع لوحة رقم ٢ ولوحة رقم ٧).

٢ — الأبنية والقطائع على شارع السريجة

وقد وصف اليعقوبي في « كتاب البلدان » شارع السريجة كما وصف الابنية والقطائع التي انشئت عليه ، فقال ان شارع السريجة كان يمتد من المطيرة جنوباً الى وادي اسحاق بن ابراهيم شمالاً ، وبعد ان يعبر الوادي يستمر في سيره نحو الشمال وينتهي بالقرب من الوادي الشمالي (وادي رياح بن ابراهيم). أما تسمية « وادي اسحاق بن ابراهيم » فسببها ان اسحاق بن ابراهيم انتقل في عهد المتوكل الى شارع السريجة في مكان هذا الوادي « فبنى على رأسه واتسع في البناء » فسمي الوادي باسمه . وكانت قطيعة اسحاق بن يحيى بن معاذ على هذا الشارع مما يلي بناء اسحاق بن ابراهيم شمالاً ، ثم تتصل قطائع الناس يمنة ويسرة في هـذا الشارع الأعظم حتى تمر الى ديوان الخراج الاعظم الذي يمتد شرقاً الى منتصف « شارع أبي حمد » الذي في جهة الشرق .

وكان في شارع السريجة (الشارع الاعظم) « قطائع قواد خراسان ، منها قطيعة هاشم بن باينجور ، وقطيعة عجيف بن عنبسة ، وقطيعة الحسن بن علي المأموني ، وقطيعة هارون بن نعيم ، وقطيعة حزام بن غالب ، وظهر قطيعة حزام الاصطبلات لدواب الخليفة الخاصية والعامية يتولاها حزام ويعقوب أخوه ثم مواضع الرطابين وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق ثم مجلس الشرطة والحبس الكبير ومنازل الناس والاسواق في هذا الشارع يمنة ويسرى مثل سائر البياعات والصناعات ويتصل ذلك الى « خشبة بابك »[1]

---

(١) ذكر اليعقوبي في مكان آخر ان « خشبة بابك » هذه كانت تقع في الجبل (جبل جعفر الخياط) فوق قطيعة الحسن ابن سهل التي كانت في آخر الاسواق غرباً وسط سر من رأى ، فقال ما نصه : « واستقطع المعتصم الحسن بن سهل بين آخر الاسواق وكان آخرها الجبل الذي صارت فيـــه خشبة بابك ، وبين المطيره موضع قطيعة أشين ، وليس في ذلك الموضع يومئذ شيء من العمارات ثم احدقت العمارة به حتى صارت=

ثم السوق العظمى لا تختلط بها المنازل ، ثم الجامع القديم (١) الذي لم يزل يجمع فيه الى ايام المتوكل فضاق على الناس فهدمه وبنى مسجداً جامعاً واسعاً في طرق الحير، المسجد الجامع والاسواق من أحد الجانبين ومن الجانب الآخر القطايع والمنازل واسواق اصحاب البياعات الدنية مثل أصحاب القماع والهرائس والشراب وقطيعة مبارك المغربي وسويقة مبارك وجبل جعفر الخياط وفيه كانت قطيعة جعفر ثم قطيعة أبي الوزير (٢) ثم قطيعة العباس بن علي بن مهدي ثم قطيعة عبد الوهاب بن علي بن المهدي ، ويمتد الشارع وفيه قطايع عامة الى دار هارون بن المعتصم وهو الواثق عند دار العامة وهي الدار التي نزلها يحيى بن اكثم في أيام المتوكل لما ولاه قضاء القضاة ثم باب العامة ودار الخليفة وهي دار العامة التي يجلس فيها يوم الاثنين ثم الخزائن خزائن الخاصة وخزائن العامة ثم قطيعة مسرور سمانة الخادم ثم قطيعة قرقاس الخادم وهو خراساني ثم قطيعة ثابت الخادم ثم قطيعة ابي الجعفاء وسائر الخدم الكبار »

= قطيعة الحسن بن سهل وسط سر من رأي » .

اما « خشبة بابك » فهي المكان الذي صلبت فيه جثة بابك بعد ان وجه رأسه الى خراسان . ويظهر ان مكان الخشبة كان يعرف بـ « العقبة » او « كنيسة بابك » ، فذكر الطبري ان « بدن بابك صلب بعد ان وجه رأسه الى خراسان بسامراء عند العقبة فوضع خشبته مشهور »(٣:١٢٣١)، وقال المسعودي في «مروج الذهب» ان جثة بابك صلبت على خشبة طويلة في اقاصي سامراء وموضعه مشهور الى هذه الغاية يعرف بـ « كنيسة بابك » .

(١) يحتمل ان يكون هذا الجامع نفس المسجد الذي ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٥٦هـ وسماه «مسجد لجين» فقال ان الموالي والغلمان تجمعوا فعسكروا بسامراء ، في طرف وادي اسحاق بن ابراهيم عند « مسجد لجين» ، فاذا صح ذلك يجوز ان نعتبر مكان الجامع القديم بالقرب من المكان الذي يعبر فيه «الشارع الاعظم» وادي اسحق بن ابراهيم (تاريخ الطبري ٣ : ١٨٠٧) .

(٢) يحتمل ان القصر المعروف بالوزيري والذى ذكر اليعقوبي بان المعتصم اجاز الى ابي الوزير بناءه كان يقع في قطيعة ابي الوزير المذكورة .

ب ـ شوارع أبي احمد والجير الاول وبرغامش التركي

وكان على الشارع الثالث وهو شارع أبي احمد بن الرشيد الذي تقدم ذكره قطائع قواد خراسان والعرب وأهل قم واصبهان وقزوين وآذربيجان . فكان في «أول هذا الشارع من المشرق دار بختيشوع المتطبب التي بناها في أيام المتوكل ثم قطائع قواد خراسان واسبابهم من العرب ومن أهل قم واصبهان وقزوين والجبل وآذربيجان يمنة في الجنوب مما يلي القبلة فهو نافذ الى السريجة الاعظم وما كان مما يلي الشمال ظهر القبلة فهو نافذ الى شارع أبي احمد ، ديوان الخراج الاعظم وقطيعة عمر[1] وقطيعة الكتاب وسائر الناس وقطيعة أبي احمد بن الرشيد في وسط الشارع، وفي آخره مما يلي الوادي الغربي الذي يقال له وادي ابراهيم بن رياح قطيعة ابن أبي دواد وقطيعة الفضل بن مروان وقطيعة محمد بن عبد الملك الزيات وقطيعة ابراهيم بن رياح في الشارع الاعظم ، ثم تتصل هذه الاقطاعات في هذا الشارع وفي الدروب الى يمنته ويسرته الى قطيعة بغا الصغير ثم قطيعة بغا الكبير ثم قطيعة سيما الدمشقي ثم قطيعة برغامش ثم قطيعة وصيف القديمة ثم قطيعة ايتاخ ويتصل ذلك الى باب البستان وقصور الخليفة » .

وكان عدا الشوارع الثلاثة التي مر ذكرها ، وهي شوارع الخليج والسريجة وأبي احمد ، شارعان آخران يمتدان بموازاة شارع أبي احمد من جهة الشرق ، اولهما ، أي الشارع الرابع ، يسمى « شارع الجير الاول » وكان يمتد من الجنوب الى الوادي المتصل بوادي اسحاق بن ابراهيم ومن ثم الى وادي ابراهيم ابن رياح، وفيه قطائع الجند والشاكرية واخلاط الناس وقد صارت فيه دار احمد ابن الخصيب في أيام المتوكل. اما الشارع الذي يلي شرقاً، أي الشارع الخامس، فيسمى « شارع برغامش التركي »، وكان يبدأ من الجنوب في المطيرة عند قطائع الأفشين

(١) يحتمل ان القصر المعروف بالعمري والذي ذكر اليعقوبي بان المعتصم اجاز الى عمر بن فرج بناءه كان يقع في قطيعة عمر المذكورة .

التي صارت لوصيف وأصحاب وصيف ثم يمتد بموازاة « شارع برغامش التركي» حتى ينتهي بالقرب من الوادي الذي يتصل بوادي ابراهيم بن رياح شمالاً .
وكانت في هذا الشارع « قطائع الاتراك والفراغنة ، فدروب الاتراك منفردة ودروب الفراغنة منفردة والاتراك في الدروب التي في القبلة والفراغنة بازائهم بالدروب التي في ظهر القبلة كل درب بازاء درب لا يخالطهم أحد من الناس وآخر منازل الاتراك وقطائعهم قطائع الخزر مما يلي المشرق »(راجع لوحة رقم ٧) .

ج ـ دار الخليفة أو دار العامة

ومن أهم العمارات التي كانت على شارع السريجة والتي لا تزال آثارها شاخصة دار الخليفة أو دار العامة التي كان يجلس الخليفة فيها أيام الاثنين والخميس . وتقع هذه الدار في شمال مدينة سامراء الحالية بقليل ، فتمتد في الأراضي المرتفعة على طول ضفة نهر دجلة اليسرى الى مسافة سبعمائة متر تقريباً. اما المسافة التي بين واجهة الدار ومنتهى بناياتها الخلفية في جهة الشرق فلا تقل عن ثمنمائة متر .

وامام الدار في جهة نهر دجلة سهل واسع يمتد غرباً مسافة حوالي ستمائة متر حتى يتصل بحافة النهر . والمعتقد ان السهل المذكور كان مقسماً الى بساتين وحدائق منسقة تمتد بين واجهة الدار ونهر دجلة .

وتقع بناية الدار على ارتفاع ١٧ متراً تقريباً من مستوى السهل ويلاحظ المتفرج هناك معالم الدرج العريض الذي كان يصل أرضية الدار بالسهل المذكور.

وبناء على ما تقدم يمكن تقدير مساحة بنايات الدار ومشتملاتها بما لا يقل عن نصف مليون متر مربع (نحو مائتي مشارة)، وذلك عدا مساحة الساحة الامامية التي تمتد في السهل الى شاطىء دجلة وهي حوالي اربعمائة ألف متر مربع (زهاء ١٦٠ مشارة) .
ويستفاد مما كتبه اليعقوبي ان الدار المذكورة بنيت على ارض الدير الذي اشتراه

المعتصم عندما اعتزم البناء في سامراء[١]

وقد لاحظ اطلال هذه الدار المهندس الفرنسي فيوله (Viollet) سنة ١٩٠٩ فرسم صورة خيالية للدار حسبما تصوّر حالتها الاصلية ، ثم اشتغل هرزفلد الالماني الجنسية قبل الحرب العالمية الاولى في اظهار بقايا الدار فقام بتنقيبات وحفريات منتظمة كشف خلالها معظم اقسامها ، واكتشف قاعة العرش وغرف التشريفات والحمّام ودوائر الحرم ... كما عثر على آثار كبيرة وصور بديعة ومواد خزفية ثمينة. وقد وضع هرزفلد تخطيطاً للدار حسب ما تصوّره على ضوء نتائج حفرياته .

وأهم ما يستلفت النظر في بقايا هذه الدار الأواوين القائمة في المدخل المطل على السهل الغربي الذي يتصل بشاطيء دجلة . اما بقية الاقسام فقد اصبحت آكاماً حيث ان ما اكتشفه هرزفلد من مشتملات الدار اقتلع آجره من قبل الأهلين لاستعماله في عماراتهم المختلفة ، ولذلك لم يبق من الغرف والقاعات التي اكتشفها هرزفلد غير الانقاض الكلسية . وكانت هذه الأواوين بمثابة مدخل الدار فكانت تسمى «باب العامة» .

وتتألف باب العامة هذه من ثلاثة أواوين رأسية العقد أكبرها الأيوان الوسطى وهو مستطيل الشكل طوله ٣٠ر١٧ وعرضه ٨ امتار جداراه الجانبيان يحملان عقادة رأسية ترتفع قمتها عن الأرض ١٧ متراً . واجهته الأمامية التي تطل على السهل مفتوحة بكاملها وأما ضلعه الخلفية فمسدود بجدار شاقولي فيه باب كبير يبلغ عرضه ٨ر٣ أمتار وارتفاعه سبعة أمتار . وقد دلّت التحريات على ان هذا الباب كان يفضي في الأصل الى سلسلة قاعات كبيرة توصل الى غرف الخليفة وقاعة العرش . على ان جدران هذه الغرف والقاعات قد اندرست تماماً . وأما الأيوانان الجانبيان فهما أقل عرضاً وطولاً من الايوان الوسطى ، فان عرض

---

(١) راجع البحث الذي تقدم الخاص بشراء أرض الدير المذكور في صفحة ٥٠

الواجهة في كل منهما عبارة عن أربعة امتار ونصف ، وأما الطول فلا يتجاوز أربعة أمتار . وفي الجدار الخلفي باب مرتفع تعلوه نافذة ويفضي هذا الباب الى قاعة خلفية كبيرة رأسية العقد مثل عقد الايوان الوسطى . وفي جانب الايوان الشمالي باب آخر يفضي الى غرفة مربعـــة متصلة بغرف اخرى ظهرت جدرانها الباقية عند رفع الانقاض سنة ١٩٣٧ ، كما يوجد بجانب الايوان الجنوبي سلسلة غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الانقاض في السنة المذكورة(راجع تصوير رقم ١ ـ دار الخليفة) .

وكانت الاواوين المذكورة مزدانة بزخارف جصية شاهد قسماً منها (فيوله) في محلها ، وعثر هرزفلد على قسم منها بين الانقاض خلال تنقيباته ، كما عثرت مديرية الآثار القديمة على البعض منها عندما رفعت الانقاض(١) .

وقد شهد باب العامة هذا أحداثاً تاريخيـــة خطيرة خلال النصف قرن من حكم الخلفاء العباسيين في سامراء ، فكان مظهراً من مظاهر الحكم والسلطان . فمن جملة الحوادث التي وقعت عنده صلب الافشين أمامه في سنة ٢٢٦ هـ حيث بقي معلقاً هناك ليراه الناس ثم طرح مع خشبته فاحرق (٢) ، كذلك نصب رأس أبي الحسين يحيي بن عمر أمامه بعد ان لقي حتفه في سنة ٢٥٠ هـ (٣). وامام الباب نفسه كان ضرب كاتب لنجور بالسيوط فمات(٤) .

ويوجد في الجبهة الشرقية الخلفية من القصر في اتجاه محور الايوان الكبير سرداب يسميه الناس « هاوية السباع » ، ويتألف هذا السرداب من حفرة مربعة منقورة في الصخر وتتوسطها بركة كبيرة مستديرة وقد نقرت في كل

---

(١) نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ، ص ٥٠ ـ ٥٥

(٢) الطبري (٣ : ١٣١٧)

(٣) الطبري (٣ : ١٥٢٢)

(٤) الطبري (٣ : ١٨٧٤)

تصوير رقم ١ – دار الخليفة (جبهة القصر)

obeikandl.com

ضلع من اضلاع الحفرة الاربع ثلاثة أواوين نقشت على جدرانها نقوش جصية جميلة . ومن المرجّح ان سبب تسمية هذه البركة بـ « هاوية السباع » هو انه كان عدد من السباع بالقرب من الهاوية فسميت « هاوية السباع » ، هذا اذا صح اعتبار كون هذه التسمية ترجع الى العهد الذي انشئت فيه الهاوية . ومما يدل على انه كان بعض السباع في دار العامة ما ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٥٥ من ان المهتدي أمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان . فكتب في هذا الصدد قائلاً ما نصه : « وفي سنة ٢٥٥ أمر المهتدي باخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراء ونفيهم منها الى بغداد ... وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وابطال الملاهي الخ ... »

ويشاهد في القسم الشمالي من القصر في الجهة الشمالية الغربية للسرداب والجهة الشمالية الشرقية للاواوين حفرة اكبر واعمق من الحفرة الاولى محاطة ببناية مربعة الشكل كثيرة التقسيمات ، لا يقل طول ضلعها عن ١٨٠ متراً ، وفي وسط هذه الحفرة بركة يبلغ قطرها نحو ٨٠ متراً . وعلى الارجح ان الحفرة الاولى كانت مسقفة والثانية مكشوفة ، وذلك لتستعمل الاولى في النهار والثانية في الليل وهناك مايدل على ان هاتين البركتين انشئتا على عهد المتوكل نظراً لما لدينا من دلائل على ان القناة التي تمون البركتين المذكورتين بالماء ، وهي القناة التي كانت تبدأ من نهر دجلة من فوق الدور وتنتهي في سامراء ، انشئت في عهد المتوكل[1] (راجع الرسمين ٣ و ١٣ ولوحة رقم ٢) .

ويستدل من المدونات التاريخية على ان الخزائن الخاصة والعامة كانت في دار العامة ، فذكر اليعقوبي أن الخزائن المذكورة كانت في شارع السريجة مما يلي دار العامة شمالاً . وقد أيد الطبري وجود الخزائن في دار العامة وقد سماها

---

(١) حول البركتين المذكورتين راجع البحث التالي الخاص بهما في الفصل الخامس .

« بيت المال » فيما ذكره عن سطو اللصوص عليها ، فقال في ذكر حوادث سنة ٢٣١ هـ مانصه : « وفي هذه السنة نقب قوم من اللصوص بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر وأخذوا اثنين وأربعين الفاً من الدراهم وشيئاً من الدنانير يسير فاخذوا بعد وتتبع أخذهم يزيد الحلواني صاحب الشرطة خليفة ايتاخ»(١) . وقد عين هرزفلد مكان الخزانة العامة في الزاوية الشمالية الشرقية من الحفرة الكبيرة حيث تقع هنالك آثار بناية كثيرة التقسيمات .

د ـ حلبة السباق وساحة اللعب

وفي منتهى قصر الخليفة من جهتـه الشرقية خلف السرداب حلبة سباق تتكوّن من حلقة مستطيلة تمتد طولاً الى جهة الشرق ، فيبدأ داخلها ضيقاً من عند القصر ثم يتوسع تدريجيا على طول الحلقة حتى يبلغ اقصى سعته في الرأس الثاني شرقاً. وكانت هذه الحلبة تمتد الى مسافة خمسة كيلومترات ونصف فتكوّن منحنياً منتظماً مسدوداً يبلغ طول محيطه حوالي احد عشر كيلو مترا ونصف كيلو متر . وتوجد في الجهة الشرقية من قصر الخليفة خلف هاوية السباع ساحة مسوّرة مستطيلة الشكل فتمتد من الشمال الى الجنوب بين هاوية السباع وبين الرأس الضيق لحلقة الحلبة بطول ٥٣٠ متراً ، اما عرضها فيبلغ حوالي ٦٥ متراً . وتوجد آثار بناية مرتفعة في منتصف القسم الخلفي من سور هذه الساحة ، أي في الضلع الشرقية التي تمتد في الطول وتتصل برأس الحلبة ، ويظهر ان هذه البناية كانت معدة للتفرج منها على الالعاب والمسابقات ، لأنها مطلّة على الساحة من جهة وعلى حلبة السباق التي تمتد خلف القصر من جهة اخرى (راجع رسم رقم ٣).

هـ ـ القصر الهاروني والجسر الذي على دجلة

ويقع غربي دار الخليفة الى الجنوب قليلاً آثار قصر ضخم آخر على شاطىء

(١) تاريخ الطبري (٣ : ١٣٥٠)

دجلة في الموقع المعروف بالكوير يظن انها اطلال القصر الذي كان يعرف بـ « الهاروني » ، وهو القصر الذي قيل ان هارون الواثق بن المعتصم بناه في زمن خلافته « فجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية » وانتقل اليه . ولا تزال بقايا هاتين الدكتين الضخمتين ظاهرة يمكن مشاهدتهـا على شاطىء دجلة الشرقي الحالي في مكان الكوير المذكور . وقد اشتهر آجر هذا القصر في الكبر والضخامة حتى صار يضرب به المثل في سامراء فيقال آجر الكوير .

وقد أشار ياقوت الى قصر الهاروني هذا في معجمه قال : « ان قصر الهاروني قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل وبازائه بالجانب الغربي المعشوق » . وقريب من هذا ماذكره ابن عبد الحق في المراصد قال : « الهاروني قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله على شاطىء دجلة في شرقيها وبازائه في الجانب الغربي المعشوق(١) .

وبمناسبة ذكر حوادث سنة ٢٢٩ هـ كتب الطبري في صفة الهاروني مانصه : « ذكر عن ابن عبد العزيز الانصاري انه قال كنا ليلة في هذه السنة عنـد الواثق فقال لست اشتهي الليلة النبيذ ولكن هلموا نتحدث الليلة فجلس في رواقه الاوسط في الهاروني في البناء الأول الذي كان ابراهيم بن رياح بناه وقد كان في أحد شقي ذلك الرواق قبة مرتفعة في السماء بيضاء كانها بيضة الاقدر ذراع فيما ترى العين حولها في وسطها ساج منقوش مغشي بالازورد والذهب وكانت تسمى قبة المنطقة وكان ذلك الرواق يسمى رواق قبة المنطقة . » (٢) واضاف الطبري قوله بان الواثق لما توفي سنة ٢٣٢ هـ دفن في قصر الهاروني هذا (٣) .

(١) راجع البحث التالي الخاص بقصر المعشوق في هذا الفصل .

(٢) الطبري ٣ : ١٣٣١ ، ٣ : ١٣٦٣

(٣) الظاهر انه كان من المألوف في ذلك الزمن ان يدفن الخلفاء في القصور التي كانوا يسكنونها ، ومما يؤيد ذلك ان المعتصم دفن في قصر الجوسق الذي كان يسكنه ، والمتوكل دفن في القصر الجعفري الذي كان يقطنه وقد قتل فيه ، كذلك دفن المنتصر والمعتز في ناحية قصر الصوامع .

وقد ذكر اليعقوبي ان هارون الواثق بنى هذا القصر على شط دجلة فسماه باسمه، أي الهاروني ، وجعل فيه مجالس في دكة شرقيه ودكة غربية وانتقل اليه ، ثم لما ارتقى المتوكل عرش الخلافة نزله وآثره على جميع قصور المعتصم (١) .

وكان مكان الجسر الذي أقامه المعتصم على مجرى نهر دجلة أمام قصر الهاروني تماماً، ولا تزال بقايا هذا الجسر يمكن مشاهدتها على الجانب الغربي من مجرى دجلة الحالي، وقد نصبت مضخة على سقف احد الطوق الضخمة المتبقية من آثار الجسر ، والمضخة عائدة الى السيد حسين العابد وهو صاحب الاراضي الزراعية المجاورة (راجع لوحة رقم ٢).

وقد ورد ذكر الجسر المذكور في كتابات المؤرخين في عدة مناسبات ، وممن أوردوا ذكره المسعودي في كتابه « تاريخ مروج الذهب » فذكر ان المعتصم لما صمم على مقاتلة ملك الروم «عسكر غربي دجلة يوم الاثنين في ٢ جمادي الأول سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودي في الامصار بالنفير الخ . . » وقد أورد ابن المعتز ذكر الجسر في ديوان شعره ، قال :

سقى الاله سرّ من رأى القطرا والكرخ والخمس القرى(٢)والجسرا

وأشار الطبري الى الجسر أيضاً فقال في ذكر حوادث سنة ٢٥٠ هـ ان المغاربة تحركت يوم ٣ جمادى الأول من هذه السنة فاجتمعوا قرب الجسر بسامراء ثم تفرقوا في اليوم التالي (٣) .

وقد أشارت مس بيل الى بقايا هذا الجسر في كتابها «امورث الى امورث» ، فقالت انها عثرت عليها بطريق الصدفة أثناء عبورها نهر دجلة في القارب متجهة نحو قصر العاشق في الجانب الغربي من دجلة ، وقالت انها لاحظت هناك

(١) انظر كتاب « البلدان » وكتاب «تاريخ اليعقوبي »(الجزء الثالث) .

(٢) ان الخمس القرى المذكورة كانت من جملة العمران على نهر الاسحاقي في الضفة الغربية من دجلة (راجع البحث الذي بلي عن الاسحاقي في هذا الفصل) . اما الكرخ المشار اليه فهو « كرخ اشناس »الذي تقدم البحث عنه في صفحة (٥٧) .

(٣) انظر تاريخ الطبري (٣ : ١٥١٥)

اناساً يقلعون احجار هذه البقايا ، وقد نقلت في هذا الصدد ما سمعته من الاهلين من ان هنالك بقايا اخرى من نفس البناء تقع في وسط النهر وهي تظهر في موسم الصيهود أثناء هبوط مناسيب المياه في النهر، وهذا ما يؤكده لنا اليوم الاهلون القاطنون على حافة النهر في هذه المنطقة . وقد استخلصت مس بيل من كلام اليعقوبي القائل ان المعتصم لما فرغ من بناء مدينة سامراء التي في الجانب الشرقي من دجلة عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة ان الجسر كان من الجسور العائمة . وقد بنت على ذلك رأياً هو أبعد مايكون عن الواقع وهو ان الدعامات التي شاهدتها على الضفة الغربية من نهر دجلة قد تكون رقبة الجسر على ضفة النهر فتجري منها المياه في موسم الفيضان فقط على نمط بناء رقبتي جسر الموصل العائم القديم . اما قول اليعقوبي بأن المعتصم عقد جسراً على نهر دجلة فمعناه انه بنى جسراً على شكل الجسور ذات العقود أو الطيقان المألوفة (Arch Bridges).

و ـ بناء الجوسق

وكان القصر المعروف بـ « الجوسق » يعد من أهم القصور التي انشئت على عهد المعتصم حيث أعد لسكنى الخليفة نفسه . اما موقعه فيستدل من وصف المؤرخين انه كان يقع على ضفة نهر دجلة الشرقية جنوبي «دار العامة» مطلاً على الحير(١) ، مما يدل على ان ارض القصر ومشتملاته كانت تشغل كل المساحة التي بين شاطىء دجلة والحير . وفيما يلي وصف اليعقوبي للجوسق قال ما نصه : « فوقف (المعتصم) في الموضع الذي فيه دار العامة وهنالك دير للنصارى فاشترى من أهل الدير الأرض واختط فيه وصار الى موضع القصر المعروف بـ « الجوسق » على شط دجلة فبنى هنالك عدة قصور للقواد والكتاب

---

(١) ذكر العلامة السيد طه الهاشمي في كتابه « مفصل جغرافية العراق » ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ ان « الجوسق » يقع في ضفة نهر دجلة الغربية ، على اننا لم نعثر على اي مصدر يؤيد ذلك .

وسماها باسمائهم»(١) . وتؤيد الروايات التاريخية بان المعتصم سكن في هذه القصر طيلة مدة حكمه ولما توفي دفن فيه(٢) ، كما تؤيد لنا بان اخلافه من الخلفاء الذين حكموا في سامراء سكنوا فيه أيضاً باستثناء الواثق والمتوكل . اما الواثق فقد سكنه في ابان حكمه ثم انتقل الى القصر الهاروني بعد اتمام بنائه ، في حين ان المتوكل آثر السكنى في الهاروني بعد توليه عرش الخلافة ومن ثم انتقل الى القصر الجعفري بالمتوكلية قبل مقتله . ويستفاد مما كتبه اليعقوبي ان المتوكل انزل ابنه محمداً المنتصر في الجوسق(٣) .

وقد ردّد المؤرخون ذكر « الجوسق » في مناسبات عدة عند سردهم الحوادث في عهد خلفاء سامراء ، منها حادثة مقتل اتامش وكاتبه في عهد المستعين(٤) ، وحوادث مقتل موسى بن بغا ومصرع بايكباك ونهب الجوسق في زمن المهتدي(٥) ، والحوادث الاخرى التي وقعت في عهد المعتمد(٦) .

ويستفاد من روايات المؤرخين انه كان في قصر الجوسق سجن ملكي كان يسجن فيه السياسيون والقواد والامراء، ويظهر ان هذا السجن انشىء في الاصل في عهد المعتصم لحبس الافشين فيه وقد سمي باسم « لؤلؤة »، ثم سجن فيه المعتز والمؤيد في عهد المستعين كما سجن فيه احمد بن المتوكل الذي كان يعرف بـ «ابن فتيان» في عهد المهتدي . وذكر الطبري في جملة حوادث سنة ٢٢٥ هـ . ان المعتصم دعا الافشين فجاء وهو في سواد « فأمر بأخذ سواده وحبسه فحبس في الجوسق

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثالث ، طبعة النجف، ص ١٩٧

(٢) قال اليعقوبي : « توفي المعتصم يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٢٢٧ هـ وصلى عليه ابنه هارون ودفن في قصره المعروف بـ «الجوسق» وكانت سنه ٤٩ سنة ألخ ...» تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثالث ، ص ٢٠٤ .

(٣) كتاب البلدان لليعقوبي

(٤) الطبري (٣ : ١٥٣٨)

(٥) الطبري (٣ : ١٨١٠ ، ١٨١٥ ، ١٨٣١)

(٦) الطبري (٣ : ١٩٢٧ ، ٢٠٤٠)

ثم بنى له حبساً مرتفعاً وسماه لؤلؤة داخل الجوسق وهو يعرف بالأفشين . »(١) وجاء ذكر البناية أيضاً فيما قيل عن ارسال المعتصم بعض الفاكهة الى الافشين وهو في سجنه ، فهذا نص الرواية وقد نقلها الطبري ايضاً ، قال : « في سنة ٢٢٦ هـ ذكر عن حمدون بن اسماعيل انه قال لما جاءت الفاكهة الحديثة جمع المعتصم من الفواكه الحديثة في طبق وقال لابنه هارون الواثق اذهب بهذه الفاكهة بنفسك الى الافشين فادخلها اليه فحملت مع هارون الواثق حتى صعد بها اليه في البناء الذي بني له فحبس فيه الذي يسمى لؤلؤة ... »(٢) ويظهر ان المعتقل المذكور صار يعرف باسم « لؤلؤة الجوسق » ، فقد ذكر المسعودي ان المستعين لما كان في سامراء قبل أن ينحدر الى بغداد اعتقل المعتز والمؤيد في هذا السجن وأبقاهما فيه فاطلق الموالي سراحهما وبايعوا للمعتز . ويقول المسعودي في هذا الصدد ما نصه : «وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذهما معه ... فاجمع الموالي على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد فانزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلاً فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه »(٣) .

وذكر الطبري سجن الجوسق عند وصفه لحوادث سنة ٢٥٦هـ ـ وهي الحوادث المثيرة التي اكتنفت عهد المهتدي القصير والتي كانت تدور حول عصيان الجيش وتمرده على الخليفة ـ فقال ان المهتدي لما استنجد بالعامة ولم ينصره احد « صار الى باب السجن فاطلق من فيه وهو يظن انهم يعينونه فلم يكن منهم إلا الهرب » ، فاتجه بعد ذلك الى دار أبي صالح عبد الله واخرج منها وسيق الى الجوسق فحبس فيه عند احمد بن خاقان وأرادوه على الخلع فأبى واستسلم للقتل .

---

(١) الطبري (٣ : ١٣٠٧)
(٢) الطبري (٣ : ١٣١٥)
(٣) راجع أيضاً الطبري (٣ : ١٦٦٨،١٥٠٧)

والظاهر انه كان بالقرب من الجوسق قصر يسمى « القصر الاحمر » إذ ورد ذكره في تاريخ الطبري عند وصف حوادث سنة ٢٥٦ هـ قال: دخل موسى بن بغا سامراء و «أخذ في الحير وعبأ اصحابه ميمنة وميسرة وقلبا في السلاح حتى صار الى باب الحير مما يلي الجوسق والقصر الاحمر » . ثم جاء ذكره في حوادث السنة نفسها بمناسبة اخرى ، وهي انه ادخل على المهدي كتاب ذكر ان سيما الشرابي زعم عن امرأة جاءت به مما يلي القصر الاحمر ودفعته الى كافور الخادم الموكل بالحرم وقالت له ان فيه نصيحة الخ ... »

ويستفاد من أوصاف الطبري لحوادث عصيان الجيش في عهد الخلفاء العباسيين في سامراء ان الجوسق كان في ذلك العهد المحور الذي كانت تدور حوله المؤامرات والتجمعات وحوادث القتل والسجن والاغتيال وكانت الالوف من الجنود تتقاتل فيما بينها في ساحاته وداخل أبنيته الواسعة . وقد اطلق عليه الطبري اسم « الدار » دون ذكر اسم الجوسق كلما أشار اليه مما يدل على انه كان من الاماكن الرئيسية المشهورة في العاصمة العباسية في ذلك الوقت .

ومما يدل ايضاً على ان الجوسق كان يعد من الأبنية الرئيسية في سامراء العباسية ومركزاً مهماً فيها ان المكتفي لما اتجهت نيته الى الانتقال الى سامراء واعادة البناء فيها ضربت له المضارب بالجوسق وكان يريد البناء فيه غير انه عدل عن ذلك ورجع الى بغداد(١) . وقد اختار ابن المعتز قصري الجوسق والتل من دون قصور سامراء فذكرهما في ديوان شعره وهو يرثي الخلافة العباسية بعد أن أصابها الوهن والشلل قال :

فتلك اطلال لهم قفارا ... ترى الشياطين بها نهارا
بالتل والجوسق والقطائع ... كم ثم من دار لهم بلاقع

---

(١) راجع ما تقدم في صفحة ١٠

وقال ياقوت الحموي في المعجم عند ذكره « بزكوار » أبياتاً منها :

عصى الزمان عليهم بعد طاعته فانظر الى فعله بالجوسق الخرب

ويظهر ان قصر الجوسق كان يعرف باسم « الجوسق الخاقاني » ، وقد سمّاه المعتصم بهذا الاسم نسبة الى خاقان عرطوج أبي الفتح بن خاقان الذي اقطعه واصحابه القطائع مما يلي الجوسق[1]. وجاء في « تاريخ مروج الذهب » للمسعودي ما يؤيد ذلك قال : « وفي سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة في قصره المعروف بالخاقاني يوم الخميس لثماني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول . »

ويلاحظ ان ياقوت ذكر بان الجوسق من القصور التي بناها المتوكل في سر من رأى في ميدان الصخر وانفق عليه خمسمائة الف درهم . ويظهر من ذلك ان الجوسق اثنان أحدهما من ابنية المعتصم وهو الجوسق الرئيسي والآخر من أبنية المتوكل أنشىء بالقرب من الجوسق الكبير في احدى ساحاته .

ولا شك في أن اطلال قصر الجوسق كانت من أبرز وأوسع المواقع الأثرية في سامراء ، إلا أن قربها من مدينة سامراء الحالية كان السبب المباشر في محو معالمها حيث استخرج كل مافيها من آجر ونقل الى المدينة الجديدة التي أسست فوق اطلال سر من رأى العباسية لاستعماله في بنائها وفي انشاء السور الضخم حواليها . ويحتمل أن يكون جزء من مدينة سامراء الحالية قد بني على طرف أرض الجوسق نفسه مما أدى الى محو معالم القصر محواً تاماً .

والجوسق اسم لامكنة اخرى غير جوسق سامراء منها الجوسق الذي في بغداد وكان يعرف بـ « الجوسق المحدث » ، وهو دار تقع بالقرب من قصر

---

(١) راجع « كتاب البلدان » لليعقوبي

الفردوس (أحد قصور الخلفاء العباسيين في بغداد) . والجوسق أيضاً اسم لقرية كبيرة من نواحي دجيل من اعمال بغداد وبينهما عشرة فراسخ ، والجوسق أيضاً من قرى النهروان من أعمال بغداد .

ز ـ العمران في الجانب الغربي من نهر دجلة

لما أنشأ المعتصم مدينة « سر من رأى » واتسعت ابنيتها كانت مياه الشرب تحمل من نهر دجلة الى المدينة على البغال وعلى الأبل ، ونظراً لأن الأراضي التي تقع فيها المدينة مرتفعة بالنسبة الى مستوى مياه النهر لذلك لم يكن هناك مجال لانشاء البساتين والمزارع بصورة واسعة حوالي المدينة، لاسيما وان الوسائط لرفع المياه لم تكن متوفرة بمقياس واسع في ذلك الزمن. ولما كانت الاراضي في الضفة الغربية من نهر دجلة منخفضة بالنسبة الى مستوى أراضي الضفة الشرقية التي تقع فيها مدينة « سرّ من رأى » لذا انتقل بعض السكان الى الجانب الغربي من دجلة فحفروا هناك جداول سيحية انشئت عليها الجنائن والبساتين والمزارع والقرى . وكانت هذه الجداول تتفرع من نهر الاسحاقي الذي حفره المعتصم لارواء الأراضي الواقعة على الجانب الغربي من نهر دجلة أرواء سيحياً . ونهر الاسحاقي هذا يستمد المياه من نهر دجلة في نقطة تقع جنوب تكريت بقليل فيجري من أمام مدينة « سر من رأى » بموازاة نهر دجلة من جهة الغرب ثم ينتهي في دجلة في الحد الجنوبي لمدينة « سرّ من رأى » .

ح ـ مشروع نهر الاسحاقي

وقد يكون من المفيد ان نستعرض بصورة مجملة التطورات التي اعتورت مشروع نهر الاسحاقي في مختلف أدواره ليكوّن القارىء فكرة عن تاريخه ، لا سيما وقد اضطربت آراء الكتاب والمحققين فيه لندرة المراجع التاريخية القديمة عنه : فقد ثبت لنا من تحقيقاتنا ان منشأ هذا النهر يرجع الى عصور سحيقة في

التاريخ ، وقد كان بالاصل نهراً جسيماً يتفرع من الضفة اليمنى من نهر دجلة في نقطة تقع في جوار تكريت فيمتد الى اقصى الجنوب حتى ينتهي في منخفض «عقرقوف»، وكان بذلك يروي القسم الاعظم من أراضي الجزيرة التي تمتد بين الفرات ودجلة ابتداء من سامراء حتى منخفض عقرقوف الذي في غربي بغداد، على ان المشروع اهمل فاندرس وبقي متروكاً مدة من الزمن حتى اذا ما جاء العهد العباسي واتخذ بنو العباس سامراء عاصمة لملكهم قام المعتصم باحياء القسم الاعلى منه ، وهو القسم الذي يمتد بين تكريت والحد الجنوبي لمدينة « سر من رأى » . لذلك فقد يصح لنا ان نقول بانه مرّ على مشروع الاسحاقي دوران ، الدور الاول ، هو الدور القديم الذي كان فيه نهر الاسحاقي مشروع ري واسع يمتد في اراضي الجزيرة من تكريت حتى عقرقوف ، والدور الثاني، هو الدور العباسي الذي اعيد فيه انشاء القسم الاعلى من النهر لاستغلاله في احداث البساتين والمزارع أمام مدينة « سرّ من رأى » في جهة دجلة الغربية. ولا شك في ان تسمية «الاسحاقي» ترجع الى الدور الثاني أي الدور العباسي. ويقال ان اسحاق بن ابراهيم الذي كان مدير شرطة المعتصم هو الذي تولى اعمال هذا المشروع فسمّي باسمه ، ويلاحظ ان «وادي اسحق بن ابراهيم» الواقع في الجانب الشرقي[1] سمّي باسمه أيضاً لوجود قطيعته بالقرب منه .

ويستدل من تتبع آثار نهر الاسحاقي انه كان يبدأ من ضفة دجلة الغربية في نقطة تقع على بعد حوالي عشرة كيلو مترات جنوبي تكريت ، وذلك في نهاية سفح اراضي الجزيرة المرتفعة (الكهف) مقابل حاوي البو عجيل الواقع في الضفة الشرقية حيث تقع هناك اطلال قرية هاطري القديمة (٢) . وقد نصبت مؤخراً مضخة بالقرب من فوهة النهر لسقي المزارع المجاوره التي تعود الى الشيخ ندى بك.

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن هذا الوادي في صفحة ٦٢

(٢) راجع البحث التالي الخاص بقرية « هاطري » في الفصل الثامن .

ويعلو منسوب القعر في صدر النهر حوالي ثمانية امتار عن مستوى نهر دجلة الصيفي . اما (الـكهف) الذي يحد أراضي الجزيرة المرتفعة فيعلو عن الارض التي يقع فيها مجرى الاسحاقي بما يزيد على عشرين متراً . وتدل الآثار الباقية على ان المجرى كان يسير في الاتجاه الجنوبي الشرقي بمحاذاة (الـكهف) ، وبعد ان يقطع مسافة حوالي ثمانية كيلومترات في هذا الاتجاه يصل الى امام الدور (دور تـكريت) الواقعة في ضفة نهر دجلة الشرقية على مسافة اربعة كيلو مترات منه تقريباً . ومن هنا ينحرف نحو الجنوب الغربي فيسير بمحاذاة (الـكهف) ايضاً مسافة اربعة كيلو مترات اخرى حتى يصل الى طريق (بغداد ـ موصل) العـام وسكة حديد (بغداد ـ موصل) الواقعة بمحاذاة الطريق تماماً . وبعد ان تقطعه السكة الحديدية المذكورة يترك حد (الـكهف) المرتفع فيسير بمحاذاة السكة من غربيها متجهاً نحو الجنوب حتى اذا ما قطع مسافة ستة كيلو مترات تقريباً بلغ التل الذي عليه مقبرة الشيخ علي الـكريم ، وهو التل الملاصق الى الخط الحديدي من شرقيه ، ومن ثم يتجه بانحراف خفيف نحو الجنوب الشرقي فيصل بعد مسير مسافة كيلو مترين تقريباً الى محطة مكيشيفة الواقعة في شرقيه ، وبعد ان يسير مسافة كيلو متر ونصف من المحطة المذكورة يصل الى « تل جمعان » ، وهو تل مرتفع يقع في الجهـة الغربيـة من النهر ، ثم يسير مسافة اثنى عشر كيلومتراً فيصل الى « تل الحويصلات » الواقع على ضفته الشرقية ، ويتجه بعد ذلك نحو « قصر العاشق » الواقع في الجهة الغربية على بعـد ستة كيلو مترات من « تل الحويصلات » . وقبل ان يصل النهر الى العاشق بكيلومتر واحد يسير في ملتويات نصف دائرية فيحيط بقصر العاشق من طرفه الشمالي والشرقي فيشكل نصف دائرة حوالي القصر المذكور . وبعد أن يترك النهر « قصر العاشق » ينحرف قليلاً الى الجنوب الغربي فيسير مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريبـاً بمحـاذاة الحد الأسفل من سفح الأراضي المرتفعة المجاورة حتى يصير أمام قبة «الصليبية »[1] .

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « الحويصلات » و « العاشق » و « الصليبية » في هذا الفصل .

وبعد ان يترك النهر « الصليبية » على ضفته اليمنى يسير بصورة ملتوية لمسافة حوالي ثمانية كيلو مترات حتى يصير امام محطة قطار سامراء الحالية غرباً . ومن ثم يسير في الاتجاه الجنوبي الشرقي مسافة أربعة كيلومترات حتى يقترب من سكة القطار. ومن هنا ينشطر النهر الى شطرين، الشطر الغربي يترك السكة الحديدية فيسير نحو الجنوب ممتداً في وسط الجزيرة التي بين الفرات ودجلة الى مسافة زهاء أربعين كيلومتراً ، ثم تضيع معالمه في وسط الصحراء بين الكثبان الرملية ؛ والشطر الشرقي يسير بمحاذاة السكة الحديدية وبموازاة السور الخارجي لمعسكر الاصطبلات(١) غرباً، وبعد أن يسير مسافة زهاء ثلاثين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي ينصب في مجرى دجيل القديم(٢) ، وذلك بعد أن يخترق في طريقه « جدار المطبّق »(٣) في جنوب غربي معسكر الاصطبلات (راجع رسم رقم «٢ أ» و رسم رقم «٢ ب») .

وقد دلت تدقيقاتنا على ان مجرى الاسحاقي الأصلي القديم كان يبدأ من جنوب تكريت فيسير في الاتجاه الذي تقدم وصفه حتى اذا ما وصل الى المكان الذي ينشطر فيه النهر الى شطرين سار في الفرع الغربي الذي يمتد في وسط الجزيرة ، وهو الفرع الذي كان يؤلف المجرى الرئيسي للنهر فتتشعب من ضفتيه شبكة من الفروع لاسقاء أراضي الجزيرة الخصبة . اما المجرى الذي انشىء على عهد المعتصم فيسير في قسمه الأعلى في نفس الاتجاه الذي كان يسير فيه المجرى الأصلي القديم حتى اذا ما وصل الى مكان انقسام النهر اتجه نحو الفرع الشرقي ، وهو الفرع الذي يفضي الى نهر دجيل القديم . وكان الفرع الشرقي هذا يحيط بالسور الخارجي لمعسكر الاصطبلات فيشكل حاجزاً مائياً خلف السور ، وكانت

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « معسكر الاصطبلات » في هذا الفصل .
(٢) راجع البحث التالي الخاص بنهر دجيل القديم في الفصل الثالث .
(٣) حول هذا الجدار راجع البحث التالي الخاص بسور الميدين في الفصل الثاني .

تتفرع من ضفة هذا الفرع اليسرى عدة تشعبات تفضي الى داخل معسكر الاصطبلات (١) .

وقد فتح فرعان في القسم الاعلى من المجرى الذي انشأه المعتصم ، أحدهما من الضفة اليسرى والآخر من الضفة اليمنى ، فيبدأ الأول وهو المعروف اليوم باسم « الأبيتر » من نقطة تقع مقابل مدينة الدور التي في الجانب الايسر من دجلة ، ثم يتجه نحو الجنوب ما بين نهر دجلة ومجرى الاسحاقي الى أن يتصل ثانية بمجرى الاسحاقي بالقرب من التل الذي عليه مقبرة الشيخ علي الكريم . اما الفرع الثاني الذي انشىء في الضفة اليمنى فيبدأ في المكان الذي يقطع فيه الطريق العام مجرى النهر فيسير في الأراضي المنبسطة بموازاة السفح الذي يحد الاراضي المرتفعة ، ثم يقترب تدريجياً من مجرى الاسحاقي الى ان يتصل به في نقطة تبعد عن شمال غربي محطة مكينشيفة بكيلو متر ونصف تقريباً . وكان هذان الفرعان يرويان البساتين والمزارع التي انشئت في عهد المعتصم على طول ضفة مجرى دجلة الغربية مقابل مدينة سَر من رأى (راجع رسم رقم ٢ أ ـ خارطة مشروع نهر الاسحاقي) .

وكان نهر الاسحاقي محور العمران الذي أسس في سامراء العباسية على الضفة الغربية من نهر دجلة ، فوصف اليعقوبي ذلك في كتابه « البلدان » قال ما نصه : « واتسع الناس في البناء بسرّ من رأى اكثر من اتساعهم ببغداد وبنوا المنازل الواسعة إلا ان شربهم جميعاً من دجلة مما يحمل في الروايا على البغال وعلى الأبل لأن آبارهم بعيدة الرشاء ثم هي مالحة غير سائغة فليس لها اتساع في الماء ، ولكن دجلة قريبة والروايا كثيرة ... ولما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الاساس للبناء في الجانب الشرقي من دجلة وهو جانب سرّ من رأى عقد جسراً الى الجانب الغربي من دجلة فأنشأ هناك العمارات والبساتين والأجنة ، حفر الانهار من دجلة وصير الى كل قائد عمارة ناحية من النواحي . وحمل النخل من بغداد

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « معسكر الاصطبلات » في هذا الفصل .

والبصرة وسائر السواد وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان فكثرت المياه في هذه العمارة ... وصلح النخل وثبتت الاشجار وزكت الثمار وحسنت الفواكه وحسن الريحان والبقل وزرع الناس أصناف الزرع والرياحين والبقول والرطاب، وكانت الأرض مستريحة الوف سنين فزكا كل ما غرس بها حتى بلغت غلّة العمارات بالنهر المعروف بالاسحاقي وما عليه والايتاخي والعمري والعبد الملكي ودالية ابن حماد والمسروري وسيف والعربات المحدثة وهي خمس قرى والقرى السفلى وهي سبع قرى والأجنة والبساتين وخراج الزرع أربع مائة الف دينار فى السنة » . وقد أورد ابن المعتز في ديوان شعره ذكر الجسر والقرى الخمس المشار اليها في وصف اليعقوبي هذا ، قال :

سقى الاله سرّ من رأى القطرا والكرخ والخمس القرى والجسرا

وكان المعتصم على زعم المؤرخين العرب يحب العمارة فيذكر عنه قوله : « في العمارة امور محمودة فاولها عمران الأرض التي يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج ، وتكثر الأموال وتعيش البهائم ، وترخص الاسعار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش ، وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعاً متى انفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة احد عشر درهما فلا تؤامرني فيه »

وقد وصف ابن سرابيون (٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م) نهر الاسحاقي كما شاهده بعد ان هجرت سرّ من رأى واعيد مقر الخلافة العباسية الى بغداد بمدة قليلة ، قال : «يحمل من دجلة من غربيها نهر يقال له الاسحاقي ، أوله اسفل من تكريت بشي يسير ، يمر من غربي دجلة ، عليه ضياع وعمارات ويمر بطيرهان ويجيء الى قصر المعتصم بالله المعروف بقصر الجص، ويسقي الضياع التي هنالك في غربي مدينة سرّ من رأى ، المعروفات بالأولى والثانية الى السابعة[1] ويصب في دجلة بازاء

(١) ان الضياع السبع التي يشير اليها ابن سرابيون في وصفه هذا هي نفس القرى السبع التي ذكرها اليعقوبي .

نهر المطيرة »[١] . وقد رسم ابن حوقل الذي كتب في حدود سنة ٣٦٧ هـ (٩٨٨ م) نهر الاسحاقي في خارطته « صورة الجزيرة » ، وهو يتشعب من نهر دجلة من جنوب تكريت مباشرة ثم يمتد باتجاه الغرب حتى يفضي الى نهر الصراة ، ونهر الصراة كان يسحب المياه من نهر الفرات وينتهي في دجلة في وسط مدينة بغداد الغربية (راجع رسم رقم ٩ ـ صورة الجزيرة لابن حوقل) ، ذلك مما يدل على ان نهر الاسحاقي كان لا يزال موجوداً في زمن ابن حوقل على الشكل الذي وصفه ابن سرابيون من قبل .

ومن أهم العمارات على نهر الاسحاقي التي لا تزال آثارها شاخصة ، « قصر الحويصلات » الواقع على الضفة اليسرى من النهر بازاء كرخ اشناس[٢] ، و « قصر العاشق » على ضفته اليمنى بازاء دار العامة (دار الخليفة)[٣] ، و قبة الصليبية على ضفته اليمنى ايضاً بازاء القصر الهاروني[٤] . هذا عدا « معسكر الاصطبلات » الواقع في ذنائب مجرى النهر مقابل القادسية[٥] . وتوجد آثار أبنية أيضاً في الموضع المعروف بـ « تل الصخر » الذي يقع على الضفة الشرقية من نهر الاسحاقي بين خرائب الحويصلات وقصر العاشق ، كما توجد آثار بناء على الضفة الغربية شمالاً في التل المعروف بـ « تل جمعان » الواقع على بعد حوالي كيلو مترين من جنوب محطة مكيشيفة .

ومن الغريب ان مستر لاين صاحب كتاب « مسائل بابلية » قد اتخذ من آثار مجرى الاسحاقي وقوداً للهيب خياله ، فصوّر لنا مجاري النهر وفروعه خنادق ميمنة وميسرة ، ووهاده خزانات لاملاء الخنادق بالمياه ، واكتاف النهر العالية

---

(١) حول المطيرة راجع البحث الذي تقدم في الصفحات ٥٩ ـ ٦١

(٢) راجع البحث الذي تقدم وهو الخاص بـ « كرخ اشناس » في صفحة ٥٧

(٣) انظر البحث الذي تقدم والخاص بدار العامة في صفحة ٦٦

(٤) انظر البحث الذي تقدم عن القصر الهاروني في صفحة ٧١

(٥) راجع البحث التالي الخاص بمعسكر الاصطبلات في هذا الفصل .

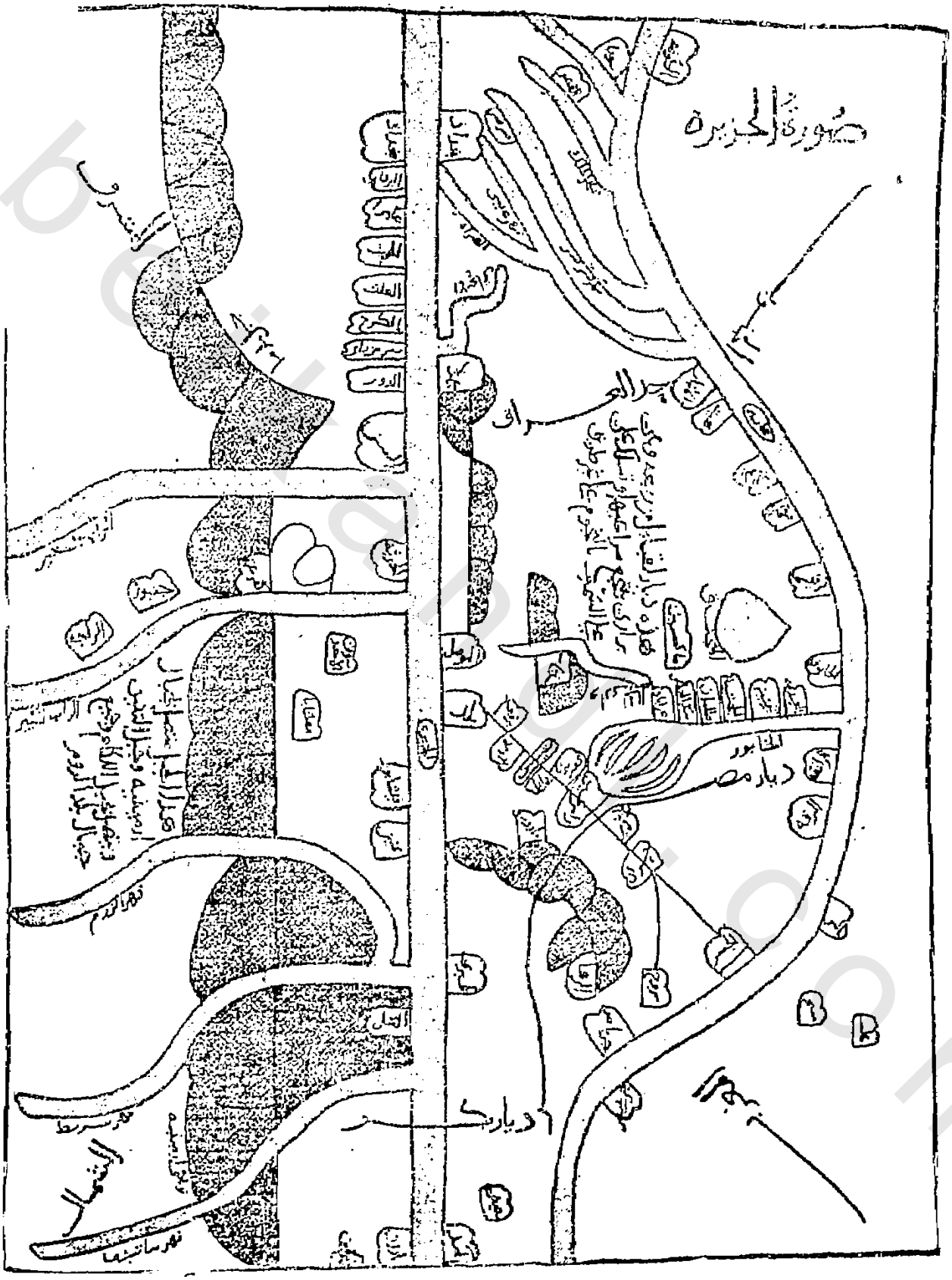

صورة الجزيرة لابن حوقل (٣٦٧ هـ = ٩٧٨ م)

تحصينات دفاعية الخ ... والاغرب من هذا انه يربط هذه الآثار التي يزعم انها تحصينات عسكرية بعهد البابليين وعهد نمرود .

ط ـ بناء الحويصلات

تقع خرائب « الحويصلات » في السهل الذى على الجانب الأيسر من نهر الاسحاقي على بعـد سبعة عشر كيلو متراً شمالي محطة سكة حديد سامراء ، ويرجح انها بقايا قصر من قصور الخلفاء في سامراء على الجانب الغربي من دجلة. وتبلغ مساحة بناية هذا القصر حوالي تسعة عشر الف متر مربع ، واما مساحة القصر مع حديقته وسوره الخارجي فتزيد على المائة والثلاثين الف متر مربع. وتوجد آثار بناية اخرى تقع غربي القصر على الضفة الشرقية من نهر الاسحاقي فتطل على القصر من أعالي تلك الضفة ، وبالنظر لقرب هذه البناية من مكان القصر الذي في السهل المجاور لذا يصح لنا القول بانها جزء من القصر . ويلاحظ ان مياه دجلة قد جرفت الزاوية الشمالية الشرقية من القصر الذي في السهل كما ازالت معالم السور الخارجي من الجهتين الشمالية والشرقية والضلع الشمالية مع قسم من الضلع الشرقية من السور الداخلي أيضاً ، ذلك ما يدل على ان القصر الرئيسي كان يقع على ضفة نهر دجلة القديم الذي كان يجري غربي مجراه الحالي محاذياً للقصر .

ويغلب على الظن ان خرائب الحويصلات هذه بقايا القصر الذي ذكر ابن سرابيون في كتابه « عجائب الاقاليم السبعة » ان المعتصم بناه على نهر الاسحاقي وسماه باسم « قصر الجص » ، بدليل ان القصر بني بالحصى الممزوجة بالجص بشكل يشبه الخرسانة . ومما قاله الحموي في المعجم ان « قصر الجص قصر عظيم قرب سامراء فوق الهاروني بناه المعتصم للنزهة وعنده قتل بختيار بن معز الدولة بن بويه قتله عضد الدولة ابن عمه » (وبختيار هو خامس ملوك آل بويه كنيته ابو منصور ولقبه عز الدولة) . (راجع رسم رقم ٢ أ ولوحة رقم ٢) .

ى ـ قصر العاشق

اما اطلال قصر العاشق فتقع على بعد حوالي تسعة كيلومترات من جنوبي الحويصلات وهى بقايا قصر ضخم على الضفة اليمنى من نهر الاسحاقي كان قد سماه المؤرخون باسم المعشوق إلا ان اسمه هذا تحول بين الناس الى العاشق . وقد بني هذا القصر في أواخر أيام حكم المعتمد في سامراء قبل ان يتركها نهائياً ويعيد مقر الخلافة الى بغداد . ويتكوّن القصر من طابقين الطابق الاسفل منه قد تحول الآن الى سراديب اما شكل القصر فهو مستطيل فيبلغ طوله ١٣١ متراً وعرضه ٩٦ متراً وقد حوّط بساحة مسوّرة ، ويشاهد في هذه الساحة بين القصر وبين السور الخارجي عدة مبان فرعية . ويدور حول القصر خندق واسع كان يستمد مياهه من قناة جوفية (كهريز) كانت تنحدر من العيون التي في أراضي الجزيرة الغربية المرتفعة فتفضي الى خندق القصر الذي كان مرتفعاً بالنسبة الى منسوب مياه نهر الاسحاقي (راجع رسم رقم ٢أ ولوحة رقم ٢)

وقد أشار اليعقوبي في وصفه لمدينة سرّ من رأى الى هذا القصر فقال ان المعتمد لما ارتقى عرش الخلافة « أقام بسرّ من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ثم انتقل الى الجانب الشرقي « يقصد الغربي » بسرّ من رأي فبنى قصراً موصوفاً بالحسن سماه المعشوق فنزله وأقام به حتى اضطربت الامور فانتقل الى بغداد ثم الى المدائن . »

وقد أشاد البحتري بقصر المعشوق هذا فأنشد في قصيدة يمدح بها المعتمد على الله قائلا : ـ

لا زال معشوقك يسقى الحيـــا ... من كل داني المزن واهي الخروق
لم أر كالمعشوق قصراً بـــدا ... لأعين الرّائين غـــير المشوق
هـــذاك قـد برّز في حسنـه ... سبقا وهذا مسرع في اللحوق

تصوير رقم ٢ – اطلال قصر العاشق (منظر عام)

obeikan.com

وقال ياقوت واصفاً هذا القصر انه « قصر عظيم بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامراء في وسط البرية باق الى الآن ليس حوله شيء من العمران يسكنه قوم من الفلاحين إلا انه عظيم مكين محكم لم يبن في تلك البقاع على كثرة ما كان من القصور غيره وبينه وبين تكريت مرحلة عمّره المعتمد على الله وعمر قصراً آخر يقال له الاحمدي وقد خرب » .

وذكر ابن جبير المعشوق في وصف رحلته كما ذكره ابن بطوطه ايضاً في وصف رحلته بين بغداد والموصل وسمّى كلاهما القصر باسم « المعشوق » ، ويلاحظ انهما اعتبرا البناية حصناً لوجود ابراج ضخمة في جدار القصر . اما ابن بطوطه فقد وصف البناء بقوله انه يقع على نهر دجلة ، وفيما يلي نص ما كتبه في هذا الصدد قال : « فنزلنا موضعاً على شط دجلة بالقرب من قصر يسمى المعشوق وهو مبني على الدجلة » . كل ذلك يدل على ان نهر الاسحاقي الذي يقع قصر المعشوق على ضفته كان مندرساً في ذلك الوقت ونظراً لقرب البناء من ضفة نهر دجلة اعتبره مبنياً على ضفة نهردجلة (راجع تصوير رقم ٢ - اطلال قصر العاشق) .

وقد أورد ياقوت ذكر قصر آخر على الضفة اليمنى لنهر دجلة قرب الاسحاقي سمّاه «قصر حبش» ، فقال عنه انه موضع قرب تكريت فيه مزارع شربها من الاسحاقي ، ولعل موقع هذا القصر في التل المعروف بـ « تل مهيجير» ، وهو تل مسطح علوه خمسة أمتار وطوله عشرون متراً يقع في حافة دجلة الغربية الحالية مقابل القصر الجعفري الذي في الضفة اليسرى[1] ، وتوجد آثار نهر قديم يتفرع من الضفة اليسرى من فرع الابيتر الذي تقدم ذكره وينتهي عند التل المذكور .

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بالقصر الجعفري في هذا الفصل .

ك - قبة الصليبية

تشتمل اطلال الصليبية على بناية مثمّنة الشكل من اللبن الجصي تتوسطها قاعة مربعة يحيط بها رواق مثمن ، وقد اجمع الاخصائيون على انها كانت متوّجة بقبة . وقد رسم هرزفلد مخططاً مفصلاً لهذه البناية كما انه رسم مقطعاً عرضياً

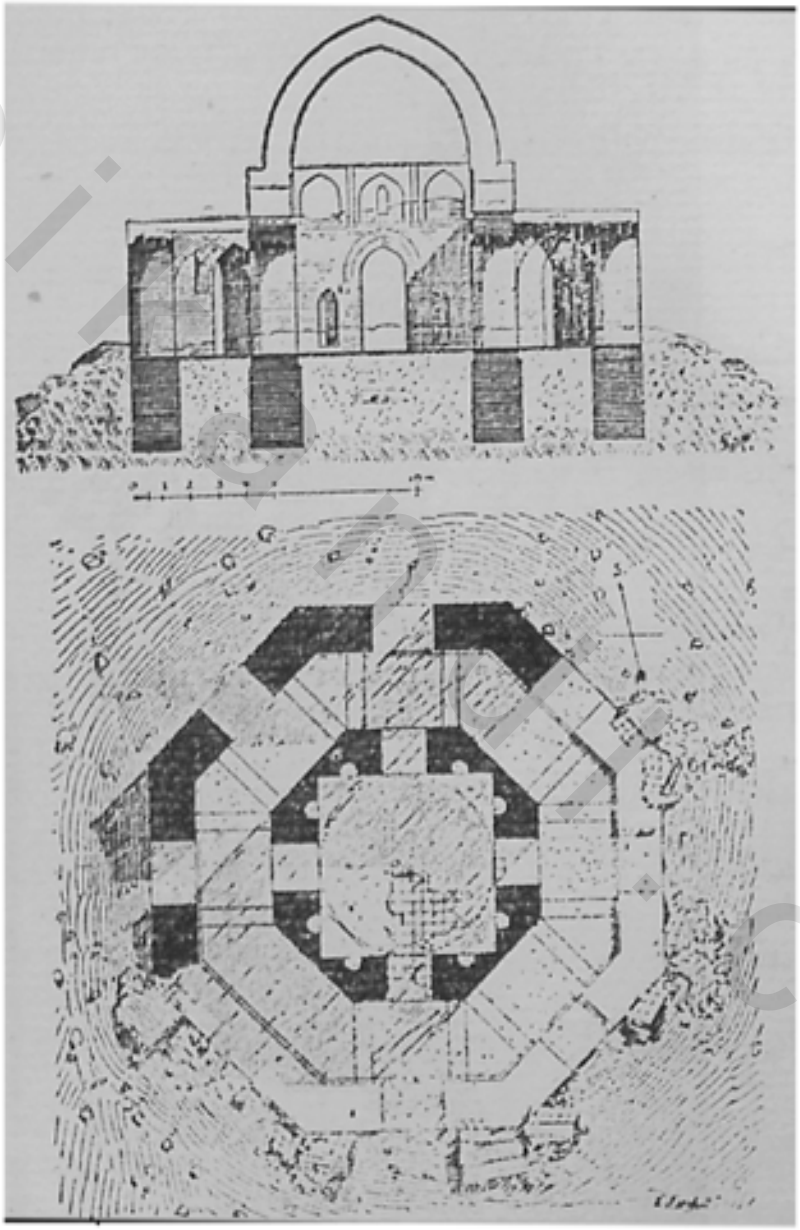

تصوير رقم ٤ - مخطط قبة الصليبية - حسب تخطيط هرزفلد

للبناية يجدها القارىء في تصوير رقم (٤) . ويظن البعض ان هذه البناية كانت ضريحاً لأحد الخلفاء ويرى آخرون انها كانت منظرة على رأس الجسر من الجهة الغربية وهي في نفس الوقت قبة حراس الجسر نظراً لوقوعها أمام الجسر تماماً ،

تصوير رقم ٣ - قبة الصابونية (منظر خارجي)

obeikan.com

ويرى هؤلاء أيضاً ان من المحتمل ان تكون البناية سميت بالصليبية لصلب بعض الاشخاص على رأس الجسر بالقرب منها ، لاسيما أن التاريخ يذكر كثيراً من مثل هذه الحوادث حيث كان الصلب العلني مألوفاً في ذلك العهد . على اننا نميل الى الأخذ بالرأي الأول وهو ترجيح كون البناء ضريحاً لشخصية مهمة لأن البناء أشبه بقبب الأضرحة منه الى أي طرز آخر. ولا بد من الاضافة في هذا الصدد الى ان البناء يقع في اعلى نقطة من هذه المنطقة وهذا يتفق والعادة المتبعة بأقامة المقابر على الاماكن المرتفعة (راجع تصوير رقم ٣ ورسم رقم «٢ أ» ولوحة رقم ٢) .

ل ـ معسكر الاصطبلات

تقع اطلال معسكر الاصطبلات في الضفة الغربية من دجلة على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً من مدينة سامراء الحالية جنوباً ، « وتتألف من حيث الأساس من مستطيل صغير متصل بمستطيل كبير ، يبلغ طول ضلع المستطيل الصغير نحو خمسمائة متر ، وعرضه مائتين وخمسة عشر متراً ، كما يبلغ طول ضلع المستطيل الكبير الفا وسبعمائة متر وعرضه خمسمائة وخمسين متراً ، وان كلا المستطيلين محاطان بسور مدعوم بأبراج ، والمستطيل الصغير مقسم الى سلسلة أحواش منتظمة ، واما المستطيل الكبير فمقسم الى ثلاثة اقسام متساوية تفصل بينها أسوار شبيهة بالاسوار الخارجية ، وان المربع الشرقي من هذه الاقسام الثلاثة كامل البناء ، حيث يشاهد فيه شارعان رئيسيان عريضان يتقاطعان من منتصفيهما في اتجاه عمودي على جدران السور وعلى الشوارع الاربعة التي تمتد على طول الاسوار ، والمربعات الاربعة التي تتكوّن على أضلاع هذين الشارعين المتعامدين تنقسم بدورها الى اقسام عديدة بشوارع طولية وعرضية كلها متعامدة أو متوازية ، واما القسم الاوسط من المستطيل الكبير فقليل البناء ، واما القسم الغربي فمحروم من المباني فلا يرى فيه شيء غير خطوط الشوارع ،

ومن الواضح ان الاصطبلات كانت معسكراً كبيراً مع دور للقواد وثكنة للجنود وساحات للخيم »[١] . ومما يلفت النظر ان الاضلاع الجانبية للمستطيلين المذكورين تمتد في اتجاه الشمال الحقيقي تماماً (راجع رسم رقم ٩) .

وكان يحيط بالمعسكر سور خارجي طويل يبدأ في الشمال من حافة نهر دجلة الغربية في المكان المعروف باسم « تل بندري » ، وهو التل الواقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات من جنوب مدينة سامراء الحالية[٢]،فيمتد الى مسافة ستة وعشرين كيلومتراً غربي المعسكر ، ثم ينتهي جنوباً الى حافة دجلة الغربية أيضاً عند التل الأثري المعروف باسم «تل مسعود»[٣] الواقع على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من جنوب « تل بندري » . وكان هذا السور محصناً بأبراج عدة في المنعطفات وفي المداخل الرئيسية للمعسكر ، ومن جملة هذه الابراج البرجان

---

(١) نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ص ٧٣

(٢) يقع « تل بندري » على حافة (الكهف) المرتفع الذي يطل على الحاوي المعروف بـ « حاوي الرقة » الذي يسكن فيه عرب صالح الجاسم اليوم . والثابت ان مجرى دجلة كان يسير في وسط هذا الحاوي بمحاذاة (الكهف) عندما انشيء سور الاصطبلات ، فكان السور يبدأ عند حافة النهر من مكان « تل بندري » وهو بناء كان يؤلف برجاً منيعاً على رأس السور . اما مكان البرج بالنسبة الى السور والنهر فكان في الزاوية التي تتكون من الخارج باتصال رأس السور مع ضفة النهر .

(٣) يقع « تل مسعود » على حافة (الكهف) المرتفع الذي يطل على اراضي « حاوي كبان » المنخفضة ، وهي الاراضي الرسوبية المسماة «اراضي الحوايج» والتي يسكنها اليوم حسين الحسن وعرب اولاد عبد الواحد دراجي ، وقد نصبت هناك مكائن ضخ لارواء مزارعها . والثابت ان مجرى النهر كان يسير في وسط هذا الحاوي وان السور كان ينتهي في حافته عند تل مسعود . ويقع البناء الذي في تل مسعود داخل الزاوية التي تتكون من التقاء السور بمجرى دجلة وتشكل اطلاله شبه مربع يبلغ طول ضلعه حوالي ٨٠ متراً ، وفي شمال التل على بعد حوالي ٤٠٠ متر توجد آثار بناء قديم أيضاً عليه مقبرة يرجح انه جزء من بناء تل مسعود . ومن المحتمل ان يكون سبب تسمية التل بتل مسعود ان احد القائمين بالبناء هناك كان يسمى مسعوداً فسمي باسمه . ومثل ذلك يصح ان يقال عن « تل بندري » الواقع في الشمال .

الواقعان في « تل بندري » و « تل مسعود » وقد انشئا في أول السور وفي منتهاه في مكان اتصالها بحافة نهر دجلة .

اما مساحة أرض المعسكر بما فيها مساحة الثكنات التي داخل السور ، وهي حوالي ٤٢٠ دونماً عراقياً ، (مشارة) فتبلغ ثمانية وخمسون كيلومتراً مربعاً (أي حوالي ٢٣٫٠٠٠ مشارة) .

ويجد القارىء في (رسم رقم ٢ ب) خارطة حقيقية تبين حدود السور الخارجي للمعسكر وحدود الثكنات التي داخل السور وقد رسمت بعد تتبع آثارها وتدقيقها في مواقعها . ويشاهد في الخارطة المذكورة ان السور الخارجي بعد أن يترك « تل بندري » الى يمينه في الزاوية التي يشكلها من الخارج باتصاله مع حافة نهر دجلة يسير جنوباً بانحراف قليل نحو الغرب مسافة ١٢٠٠ متر ، ومن ثم ينعطف نحو الغرب وبعد أن يسير نحو ٦٠٠ متر في الاتجاه الأخير يعرج الى الجهة الجنوبية الشرقية فيسير في هذا الاتجاه زهاء ٧٠٠ متر مشكلاً مثلثاً احدى ضلعيه المستطيلتين في الشمال والآخرى في الجنوب وقاعدته تتكون من الفتحة التي في الشرق بين الضلعين المذكورتين . ويقترب مجرى الاسحاقي الذي ينحدر من الشمال من الزاوية التي في رأس المثلث ومن هنا يلازم السور فيسير بمحاذاته من الخارج حتى نهاية السور في الجهة الجنوبية الشرقية . ويوجد في آخر الضلع الجنوبية المثلث باب رئيسي يواجه « القبلة » ، فتشاهد آثار بناء هـذا الباب وآثار قنطرة العبور على نهر الاسحاقي الذي يسير بمحاذاة السور من الخارج . وتشكل بقايا بناء الباب تلاً من انقاض الآجر والجص ، أما قنطرة العبور التي بجانب الباب غرباً فقد استخرج آجرها حتى اعمق نقطة من الأساس . ومن الباب يسير السور نحو الجنوب الشرقي بصورة متعرجة حتى اذا ما قطع مسافة ٥٫٦٠٠ كيلومتراً على هـذه الصورة وصل الى جوار الزاوية الجنوبية الغربية لحدود بناء الثكنات المستطيل فيصبح على بعد مائتي متر عن تلك الزاوية . ويوجد

في هـــذه النقطة من السور مدخل رئيسي للمعسكر وللثكنات تقع عنده آثار برج كما تقع على جانبه من الخارج قنطرتا عبور على مجريي نهر الاسحاقي وفرعه اللذين يسيران بمحاذاة السور . وبهذا يشكل بناء الثكنات حاجزاً مستطيلاً يمتد على عرض المعسكر بين نهر دجلة والسور الخارجي للمعسكر، هذا باستثناء فتحة المائتي متر التي بين الركن الجنوبي الغربي للبناء والسور الخارجي للمعسكر . ومن هنا يستمر السور في سيره الى الجنوب الشرقي على شكل شبه قوس حتى اذا قطع مسافة ستة كيلومترات في هذا الاتجاه وصل الى ركن بارز يأخذ السور منه في اتجاهات هندسية مستقيمة في متعرجاته ، فينعطف نحو الجنوب الشرقي فيسير مسافة ٢٫٧٠٠ كيلومتراً في اتجاه مستقيم ثم يميل الى الشرق فيسير في اتجاه مستقيم هندسي أيضاً مسافة ١٫٩٠٠ كيلومتراً ، ومن ثم ينحرف الى الشمال الشرقي في اتجاه مستقيم فيسير مسافة ٣٫٠٠٠ كيلومتراً في هذا الاتجاه . ويقع على هـــذه الضلع الأخيرة مدخلان للمعسكر يشاهد الى جانبهما آثار ابراج لحماية المدخلين المذكورين . ويصبح المعسكر عند هذين المدخلين في أوسع ساحاته بالنسبة الى المسافة التي تمتد عرضاً بين نهر دجلة والسور الخارجي ، حيث تبلغ هذه المسافة زهاء سبعة كيلومترات. وفي نهاية الضلع الاخيرة يعرج السور الى الشمال بانحراف قليل الى الغرب راجعاً الى حافة نهر دجلة فيشكل زاوية قائمة داخلها آثار برج كبير، فيسير في اتجاه مستقيم مسافة ٢٠٠ر٠ كيلومتراً وينتهي في حافة مجرى دجلة عند « تل مسعود » الواقع داخل الزاوية التي يشكلها السور باتصاله مع حافة نهر دجلة .

ويعترض السور في اتجـاهه الاخير نهر دجيل الحالي فيقطعه على مسافـة كيلومتر واحد من « تل مسعود » جنوباً كما يعترضه أيضـاً خط سكة حديد بغداد ـ سامراء وطريق بغداد ـ سامراء العام فيقطعانه على بعد حوالي كيلومتر من نهر دجيل جنوباً .

ويتصل السور عند رأس الزاوية القائمة التي تشكلها الضلع الاخيرة المتجهة نحو دجلة مع الضلع التي قبلها بجدار مرتفع يعرف بـ «عركوب المطبّك»، وهو جدار ضخم قديم مبني باللبن ومحصّن بابراج ضخمة يرجع الى ماقبل عهد العرب، فكان يبدأ من ضفة نهر دجلة الغربية من قرب امام الخضر الحالي ثم يمتد في الجهة الجنوبية الغربية نحو أرض الجزيرة التي بين دجلة والفرات. ويوجد خلف الجدار من الجهة الغربية خندق عميق يسير الى محاذاة الجدار، ويظهر ان هذا الخندق كان يستمد المياه من ضفة نهر دجلة اليمنى فيؤلف حاجزاً مائياً خلف الجدار. وقد ظنّ المؤرخون والكتاب الافرنج بان هذا الجدار هو «سور الميديين» الذي ورد ذكره في الكتب اليونانية القديمة، وسيأتي البحث عن ذلك في الفصل الثاني عندما نتطرق الى تطورات «سد عرود» ومنشئه.

وكان نهر الاسحاقي الذي انشأه المعتصم يأتي من الشمال فيسير بمحاذاة سور معسكر الاصطبلات غرباً وجنوباً ثم بعد ان يقطع «جدار المطبّك» وخندقه يسير شرقاً حتى ينتهي في نهر دجيل القديم فيصب فيه[1]. ونهر دجيل هو النهر القديم الذي يقع شرقي «جدار المطبّك» والذي يسميه الاهلون «عركوب الفرحاتية» وكان يتفرع من ضفة دجلة الغربية شرقي «تل مسعود» فيسير في الجهة الجنوبية الشرقية في وسط الجزيرة التي بين دجلة والفرات حتى ينتهي في منخفض عقرقوف، وسيأتي البحث عن هذا المشروع العظيم في الفصول التالية[2]. ولاحاطة السور بخندق من المياه من أطرافه كافة فتح في شماله فرع من الضفة اليسرى من نهر الاسحاقي في نقطة تقع مقابل «تل بندري» فيسير خلف السور في قسمه الاعلى الذي يمتد مابين نهر الاسحاقي ودجلة ثم ينصب في دجلة.

وهكذا احيط المعسكر بالمياه من كل اطرافه، فنهرا دجلة ودجيل يحدانه من

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن مشروع نهر الاسحاقي في صفحة ٧٩
(٢) راجع الفصلين الثالث والحادي عشر.

الشمال والشرق ، ونهر الاسحاقي يحدّه من الجنوب والغرب ، ويحده في اقصى الشمال الفرع الذي يمتد مابين نهر الاسحاقي ونهر دجلة امام « تل بندري » (راجع رسم رقم ٢ ب) .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان القدماء كانوا يحرصون الحرص كله على ان يجعلوا تحصيناتهم محاطة بحواجز من المياه على شكل خنادق عميقة تملأ بالمياه فيصعب عبورها بدون واسطة عبور أو سباحة ، لذلك نجد أن أكثر الأسوار والجدران القديمة التي نشاهدها في مختلف انحاء العراق ، ولا سيما تلك التي ترجع الى ماقبل عهد العرب ، تحاذيها خنادق عميقة لتحقيق هذا الغرض .

وكان نهر الاسحاقي عدا احاطته سور معسكر الاصطبلات بحاجز مائي يموّن المعسكر بالمياه ، ولتحقيق هذا الغرض كانت هناك ثلاثة فروع رئيسية تتفرع من ضفته اليسرى فتخترق المعسكر ثم يصب بعضها في نهر دجلة والبعض الآخر في نهر دجيل الواقع في الجنوب. فالفرع الأول، وهو الفرع الشمالي ، كان يتفرع في نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين من جنوب شرقي المدخل الرئيسي للمعسكر، وهو المدخل الواقع في القسم الشمالي من السور الخارجي، فيخترق السور من تحته ، وبعد ان يمتد عرض المعسكر في القسم الواقع شمال غربي بناء الثكنات يصب في دجلة ويلي هذا الفرع الفرع الأوسط، وهو الفرع الذي كان يتفرع من نهر الاسحاقي في نقطة تقع على بعد ١٨٠٠ متر من جنوب شرقي صدر الفرع الشمالي ، فيخترق السور من تحته ثم يتجه الى جهة الثكنات فيدخلها من الناحية الشمالية، وبعد ان يخترقها يصب في دجلة أيضاً . وهناك ناظم خاص انشيء على نهر الاسحاقي في جنوب فوهة هذا الفرع مباشرة لحجز المياه امام الناظم وتحويلها بمنسوب عال الى الفرع المذكور . ويشتمل هذا الناظم على ثلاث فتحات ، ولا تزال آثاره ظاهرة في جنوب مأخذ الفرع مباشرة ، وقد استخرج آجر البناء الى حد الأساس بحيث ظهرت معالم الاساسات بكل وضوح ، فغدت أشبه

شيء بالحفائر الهندسية التي تحفر عادة قبل بناء أساسات الناظم . وفي جنوب هذا الناظم، على مسافة حوالي نصف كيلومتر من موضعه يتفرع الفرع الثالث ، وهو الفرع الجنوبي، فيسير بين نهر الاسحاقي وبين سور المعسكر مسافة ٥٨٠٠ متر ثم يدخل المعسكر من تحت سوره الخارجي فيخترق قسمه الجنوبي الشرقي ويخرج من تحت السور أيضاً الى خارج المعسكر بالقرب من ملتقى السور بجدار المطبك فيخترق جدار المطبك وخندقه ثم يتجه نحو نهر دجيل القديم فيصب فيه على مسافة حوالي أربعة كيلومترات ونصف كيلومتر من مقدم مصب نهر الاسحاقي في نهر دجيل. وهناك ناظم ثان انشيء على نهر الاسحاقي في جنوب مأخذ الفرع الجنوبي هذا مباشرة لحجز المياه أمام الناظم وتحويلها بمنسوب عال الى الفرع المذكور، كما انشيء ناظم في فوهة هذا الفرع لتنظيم المياه التي تدخل اليه . ويستدل من آثار الناظمين المذكورين ان الناظم الواقع على نهر الاسحاقي يتألف من فتحتين والناظم الواقع في فوهة الفرع من فتحة واحدة . وقد انشئت على بعد مسافة قصيرة من جنوب فوهة هذا الفرع قنطرتان للعبور عند المدخل الى الثكنات احداها على نهر الاسحاقي ، وهي ذات فتحتين، والاخرى على الفرع وتشتمل على فتحة واحدة .

ومما يلفت النظر ان قسماً كبيراً من أراضي المعسكر كان يستعمل لاحداث مراع اصطناعية لجياد الجيش الامبراطوري ، واما القسم المبني ضمن السور الداخلي فكان معداً لسكنى الجنود والضباط . وكان بعض أراضي المعسكر وخاصة القسم الجنوبي الشرقي الذي يشكل أوسع بقعة داخل المعسكر (راجع رسم رقم ٢ ب) يغمر بالمياه من فروع نهر الاسحاقي المار ذكرها فيتكون بذلك المرعى المطلوب ، وهو مانسميه « الجاير » . وكانت هذه الطريقة متبعة في القطر العراقي منذ أقدم الأزمنة وقد استمر استعمالها في المقاطعات الواسعة حتى شرع في تنظيم الري وسن قانون الري والسداد العراقي الذي يمنع احداث مثل هذه

المراعي في الاراضي الزراعية . واذا تصوّرنا وضع هذه الجياد وهي ترعى رعي الاغنام في داخل سور المعسكر اتضحت لنا ضرورة تحقيق مشروع النهر الذي يفضي الى المعسكر لتأمين مياه الشرب لتلك الجيـاد فلا يضطر الجنود الى نقل مياه الشرب اليها من نهر دجلة .

بقي علينا ان نبحث عن تاريخ انشاء هذا المعسكر وعمن قام بأنشائه ، وهل كان من عمل المعتصم أو من عمل المتوكل أو غيره من خلفاء سامراء ؟ ... واذا رجعنا الى المدونات التاريخية فاننا لا نجد فيها ما يوصلنا الى اية معلومات صريحة في هذا الصدد ، لذلك كان لزاماً علينا ان نستند الى نتائج التتبعات العملية حول صلة المعسكر بالاعمال الاخرى في سامراء ، ولما كان مشروع نهر الاسحاقي أوثق دليل يستند اليه في التوصل الى معرفة العهد الذي انشىء فيه المعسكر ، وكان هذا المشروع (نهر الاسحاقي) قد انشيء في عهد المعتصم ، جاز لنا ان نستخلص من ذلك ان معسكر الاصطبلات كان من عمل المعتصم أيضاً بدليل ان فروع النهر كانت تفضي الى المعسكر . والظاهر ان من أهم الاغراض التي كان نهر الاسحاقي يرمي الى تحقيقها اقامة نهر جار على محاذاة السور الخارجي للمعسكر لتقوية وسائل التحصين خلف السور ، وذلك بحسب القاعدة العسكرية التي كانت متبعة في ذلك الوقت ، واعني انشاء الخنادق خلف الاسوار وأملائها بالمياه لتكوّن حواجز مائية تحول دون الوصول الى تلك الاسوار .

بقي علينا ان نتساءل الآن ، هل كان انشاء المعسكر أثناء اقامة المعتصم في القاطول أي أثناء شروعه في بناء عاصمته في القادسيـة التي تقع أمام معسكر الاصطبلات في الجانب الايسر من دجلة (١) ، أم انه كان بعد عدول المعتصم عن فكرة انشاء المدينة في القاطول وانتهائه الى موضع سامراء ؟؟ . فاننا نرى ان المعتصم

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بموضوع القادسية والقاطول في الفصل الرابع

شرع في بناء هذا المعسكر أثناء مكوثه في القاطول وبعد ان انتقل الى موضع سامراء واتجهت نيته الى بناء العاصمة هناك ارتأى ضرورة الاستفادة من موضع هذا المعسكر المنعزل فاضاف اليه سوره الخارجي كما انه أنشأ نهر الاسحاقي لتموينه بالمياه واحداث المراعي للجياد واحاطة السور بخندق من المياه . ودليلنا على ماتقدم وجود كهاريز وسط بناء الثكنات يستدل منها على ان المعتصم قبل ان يفتح نهر الاسحاقي كان قد استعان ببعض الكهاريز التي تستمد مياهها من الينابيع الواقعة في منطقة الجزيرة غربي المعسكر لايصال المياه الى داخل المعسكر.

ويرى السيد أمير علي صاحب كتاب «مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي» ان المعتصم هو الذي شيد معسكر الاصطبلات ليستوعب جياد الجيش الامبراطوري وقد كان عددها ١٦٠ الف حصان(١) .

والذي يلفت النظر ان المستر لاين صاحب كتاب « المشاكل البابلية» يذهب الى ان آثار نهر الاسحاقي واطلال معسكر الاصطبلات وما هنالك من بقايا أبنية قديمة في هذه المنطقة انما تعود الى العهد البابلي وانها كانت تحصينات تتصل بمشروع « سد نمرود » القديم ، ويضيف الى ذلك قوله ان ماذكره المؤرخون العرب عن انشاء نهر الاسحاقي في عهد المعتصم غير صحيح ويورد مثالاً لاخطاء الجغرافيين القدماء في وصفهم للجداول القديمة منها ماذكره ابن سرابيون من ان نهر دجيل كان يتفرع من نهر الفرات .

رأي هرزفلد في الاصطبلات

ومن الغريب ان يرى هرزفلد في آثار الاصطبلات الرأي الذي ابداه في كتاب أرسله الى المؤلف بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٧ انه يحتمل أن تكون هذه الآثار من بقايا اطلال قصر العروس الذي ورد ذكره في كتب المؤرخين من العرب،

---

(١) راجع الترجمة العربية بقلم رياض رأفت ص ٢٤٣

مستنداً في رأيه هذا الى ماجاء في كتاب الاغاني من وصف رحلة نهرية قام بها المتوكل يصحبه ولاة العهود من سامراء الى قصر العروس. وفيما يلي ترجمة كلامه هذا ، قال: «اما اطلال الاصطبلات فمن الصعب التوصل الى تشخيص ما كانت عليه اذا استندنا الى المدونات التاريخية، ولكن من المحتمل ان تكون بقايا قصر العروس الكبير فقد جاء في الاغاني(٩ : ٣٢) ان جماعة من المحتفلين ابحروا من جسر سامراء نهر أحتى وصلوا الى هذا القصر الامر الذي يدل على ان القصر كان على الضفة الغربية، وكان قد كلف انشاء هذا القصر مبلغاً كبيراً كما ذكر ياقوت (٣:١٧) لذلك يحتمل انه كان أوسع قصور سامراء »(١)

اما وصف الاغاني الذي أشار اليه هرزفلد فهذا نصه : « أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هرون قال : لما عقد المتوكل لولاة العهود من ولده ركب بسرّ من رأى ركبة لم ير احسن منها وركب ولاة العهود بين يديه والاتراك بين ايديهم أولادهم يمشون بين يدي المتوكل بمناطق الذهب في ايديهم الطبرزينات المحلاة بالذهب ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس وأذن للناس فدخلوا اليه فلما تكاملوا بين يديه مثل أبراهيم بن العباس بين الصفين فاستأذن في الانشاد فأذن له فقال :

ولما بدا جعفر في الخميس بين المطل وبين العروس

فيتضح من النص المذكور انه ليس فيه أية اشارة أو دليل على ان قصر العروس كان في الجهة الغربية من دجلة أو انه كان جنوبي سر من رأى أو

---

(١) فيما يلي نص كلامه بالانكليزية : ـ

«Istablat is difficult to identify with any literary notice, but it is possibly the very large Qasr al-Arus (al-aghani 9, 32) where a great procession sails from the Samarra bridge down river, to this castle which therefore was on the western bank. It was the most expensive (Yakut 3, 17) hence probably the largest.

شماليها . ولا ندري كيف توصل هرزفلد الى الرأي الذي تقدم ذكره في حين ان كل مافي الاصطبلات من الآثار ينطق بكونها ثكنات للجيش ، وقد يكون في التسمية وحدها المتوارثة حتى اليوم ، أي الاصطبلات ، كفاية للدلالة على انها كانت اصطبلات الجيش العباسي .

٥ — المرحلة الثانية لانشاء مدينة سامراء — عهد المتوكل

بحثنا فيما تقدم عن المرحلة الأولى لانشاء مدينة سامراء التي تنحصر في عهدي المعتصم والواثق ، ونبحث الآن عن المرحلة الثانية التي ترجع الى عهد المتوكل[1] ، وهو العهد الذي دام خمسة عشر عاماً بين سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦م)

---

(١) هو جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمنتصر بالله ثم لقبه احمد ابن ابي دواد المتوكل على الله ويكنى بأبي الفضل . ولد في شوال سنة ست ومائتين للهجرة وبويع له يوم وفاة أخيه الواثق في ٢٤ذي الحجة عام ٢٣٢ هـ . وقد سماه بعض الكتاب « نيرون العرب » لشدة بأسه وتصرفاته الجائرة ، ومن جملة اعماله انه اقصى أحرار الفكر عن وظائف الدولة وعطل المحاضرات التي كانت تلقى في العلم والفلسفة واصدر امره بترك المباحثات والمناظرات وامر الناس بالتمسك بالتقليد . ويقال انه لم يكتف باضطهاد احرار الفكر حسب ، بل اوغل أيضاً في اضطهاد الذميين الذين قاسوا في خلال حكمه أشد ضروب الجور والايذاء ، اذ اقصاهم عن وظائف الدوله وحرمهم جميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد اسلافه . وبلغ به كرهه للعلويين ان هدم في سنة ٢٣٦ هـ قبر الحسين (ع) بكربلا . وقضى في عهد خلافته على المعتزلة وعم اضطهاد مذهب الاعتزال الذي كان قد نشأ في عهد المأمون (راجع ماتقدم عن موقف المعتصم من هذا المبدأ في صحيفة ٤٧ حاشية ١) .

وعلى العموم ان عهد المتوكل يعد بداية انحلال الامبراطورية العربية وتسرب الفساد في جسم الدولة ، وقد انتهز الروم فرصة انتشار هذه الفوضى واستأنفوا حروبهم ، فأغاروا على دمياط من اعمال مصر ثم غزوا كليكيا واسروا منها خلق كثير وذبحوا ١٢٫٠٠٠ بعد ان مثلوا بهم شر تمثيل بأمر الامبراطورة «ثيودورة» ولم ينج من هذا الاعتداء الا من اعتنق المسيحية . ولما بلغت تصرفات المتوكل حداً لايطاق تآمر عليه القواد الاتراك فقتلوه وهو نمل في قصره بالمتوكلية (أي في قصر الجعفري) وكان ذلك ليلة ٣ شوال عام ٢٤٧ هـ ، ودفن في القصر الجعفري . ويقال ان ابنه المنتصر كان يعلم بسر المؤامرة التي دبرت لقتله ، والمعروف انه لم يكن راضياً عن تصرفات أبيه الجائرة .

و٢٤٧ هـ (٨٦١ م) . لقد امتاز عهد المتوكل بكثرة المشاريع العمرانية التي اقيمت في عاصمته وبجسامة النفقات التي بذلت في هذا السبيل ، فقد كان للمتوكل ولع خاص بهذه المشاريع ،ففي عهده انشئت عدة قصور فخمة وعدة مشاريع للري ، كما انشئت في هذا العهد أيضاً « مدينة المتوكلية » في اقصى الشمال(١)، واختطت شوارع جديدة منهـا الشارع الاعظم الذي انشىء بعرض حوالي مئة متر وطول ١٢ كيلومتراً تقريباً . وعلى العموم ان مدينة سامراء بلغت أوج ازدهارها وتوسعها في هذا العهد الذي يصح ان يعد العصر الذهبي لعاصمة الامبراطورية العباسية من حيث عمرانها وتنسيقها .

ومما ذكره ياقوت في معجمه عن الحركة العمرانية في عهد المتوكل قال : « ولم يبن أحد من الخلفاء بسر من رأى من الأبنية الجليلة مثل مابناء المتوكل فمن ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم والقصر المختار خمسة آلاف الف درهم والوحيد الفي الف درهم والجعفري المحدث عشرة آلاف الف درهم والغريب عشرة آلاف الف درهم والشيدان عشرة آلاف الف درهم والبرج عشرة آلاف الف درهم والصبيح خمسه آلاف الف درهم والمليح خمسة آلاف الف درهم وقصر بستان الايتاخية عشرة آلاف الف درهم والتل علوه وسفله خمسة آلاف الف درهم والجوسق في ميدان الصخر خمسمائة الف درهم والمسجد الجامع خمسة عشر الف الف درهم وبركوان (بركوارا) المعتز عشرين الف الف درهم والقلائد خمسين الف دينار وجعل فيها أبنية بمائة الف دينار والغرد في دجلة الف الف درهم والقصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له الماحوزة خمسين الف الف درهم والبهو خمسة وعشرين الف الف درهم واللؤلؤة خمسة آلاف الف درهم فذلك الجميع مائتا الف الف واربع وتسعون الف الف درهم » .

ويستدل مما تقدم ان مجموع ما انفقه المتوكل على قصوره بلغ ثلثمائة مليون

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بانشاء مدينة المتوكلية في هذا الفصل .

الخليفة المتوكل على الله
(٢٣٢-٢٤٧هـ)

obeikan.com

درهم ، أي حوالي اثنى عشر مليون دينار باعتبار ان الدراهم كانت في أيام المتوكل كل خمسة وعشرين درهماً بدينار . ويؤيد المسعودي بهاظة النفقات التي بذلها المتوكل في سبيل مشروعاته العمرانية في سرّ من رأى إذ يقول: « وقد قيل انه لم تكن النفقات في عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها في أيام المتوكل »

وذكر المسعودي في « مروج الذهب » ان « المتوكل احدث في ايامه بناء لم يكن الناس يعرفونه، وهو المعروف بالحيري والكمين والاروقة وذلك ان بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى قصراً احدث بنياناً في دار قراره ، وهي الحيرة ، على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر احواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر، والكمان ميمنة وميسرة ، ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه ، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق ، فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين ، اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك اتماماً بفعله واشتهر الى هذه الغاية » . ويحتمل ان يكون قصر الحير الذي وصفه ياقوت بقوله انه « اسم قصر كان بسامراء انفق على عمارته المتوكل أربعة آلاف الف درهم ثم وهب المستعين انقاضه لوزيره احمد بن الخصيب فيما وهبه له » قد سمي بهذه التسمية لطرز بنائه الحيري المتقدم الذكر .

أ ـ شارعا العسكر (العسكر ؟) والحير الجديد

وقد وسع المتوكل مدينة سرّ من رأى من الشرق والجنوب والشمال ، ففتح من الشرق شارعين خلف « شارع برغامش التركي »[١] ، الشارع الأول، وهو

(١) راجع البحث الذي تقدم عن هذا الشارع في الصفحتين ٦٥ و ٦٦

المجاور لشارع برغامش يسمى « شارع صالح العباسي »، وهو « شارع الاسكر (العسكر ؟) « فيه قطائع الاتراك والفراغنة والاتراك أيضاً في دروب منفردة والفراغنة في دروب منفردة تمتد من المطيرة الى دار صالح العباسي التي على رأس الوادي ويتصل ذلك بقطائع القواد والكتاب والوجوه والناس كافة »[١]. وعلى الارجح أن المقصود بـ « رأس الوادي » رأس « وادي اسحق بن ابراهيم » الذي تقدم البحث عنه[٢]. أما الشارع الثاني الذي خلف « شارع الاسكر »، فيقال له « شارع الحير الجديد » فيه اخلاط من الناس من قواد الفراغنة والاسروشنية والاشتاخنجية وغيرهم من سائر كور خراسان »[٣]. وبذلك بلغ عدد الشوارع الموازية لنهر دجلة على طول مدينة سامراء سبعة شوارع، أولها من جهة الغرب « شارع الخليج » وآخرها من جهة الشرق « شارع الحير الجديد ».

وكانت الشوارع الاربعة الاخيرة، وهي « شارع الحير الأول » و« شارع برغامش التركي » و « شارع الاسكر » و « شارع الحير الجديد » تسمى « طرق الحير ».

ب ـ حائر الحير[٤]

كان المعتصم قد بنى حائطاً في نهاية الأبنية من جهة الشرق سماه « حائر الحير »

---

(١) انظر « كتاب البلدان » لليعقوبي (طبعة النجف) ص ٢٩

(٢) انظر البحث الذي تقدم عن هذا الوادي في صفحة ٦٢

(٣) انظر « كتاب البلدان » لليعقوبي ص ٢٩

(٤) قال ياقوت ان الحائر هو في الأصل حوض يصب اليه مسيل الماء من الامطار سمي بذلك لان الماء يتحير فيه برجع من اقصاه الى ادناه ... وقال الاصمعي يقال للموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف حائر وجمعه حوران واكثر الناس يسمون الحائر الحير . . . وقال أبو القاسم علي بن حمزة البصري راداً على ثعلب في الفصيح قيل الحائر لهذا الذي يسميه العامة حيرا وجمعه حيران وحوران .

وكان الحائط ممتداً على طول حدود البناء الخارجية بين «الجوسق» و «المطيرة»، واحتفظ بالسهل الواسع الذي في ظهر سر من رأى شرقاً. الا انه لما اتسعت حدود البناء في تلك الجهة على عهد المتوكل انشىء حائط غيره على الحدود الجديدة للبناء التي في ظهر « شارع الحير الجديد » . فكان هذا الحائط يحد الاراضي المنبسطة الواسعة الواقعة الى شرقيه وهذه سميت بـ « ساحة الحير » نسبة الى « حائر الحير » والى طرق الحير التي تمتد على محاذاته(١) . ولا تزال آثار هذا الحائط تشاهد في جنوب شرقي مدينة سامراء الحالية فتمتد من قرب « وادي الموح » الواقع جنوبي مدينة سامراء الحالية مباشرة في خط هندسي مستقيم الى الجهة الجنوبية الشرقية حتى تتصل بالركن الجنوبي الغربي لسور حديقة المتوكل للوحوش(٢) ، فيتكون باتصال هذين الحائطين مثلث رأسه في نقطة اتصال الحائطين وضلعاه « حائط الحير » من جهة الشرق وحائط حديقة الحيوانات من جهة الغرب (راجع الرسم رقم ١٣ واللوحة رقم ٢)

وكان على هذا الحائط باب رئيسي يقع في ظهر مدينة سامراء الحالية جنوبي المسجد الجامع الكبير المعروف بـ « مسجد الملوية »(٣) فيصل مدينة سر من رأى وقصورها الرئيسية بساحة الحير الواقعة خارج المدينة شرقاً ، وكان يعرف هذا الباب باسم « باب الحير » . وقد ذكر الطبري « باب الحير » هذا في عدة مناسبات فيما كتبه عن الحوادث التاريخية في سامراء العباسية فقال انه يقع مما يلي « الجوسق »(٤) وما يلي « قبلة المسجد الجامع »(٥)

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بساحة الحير في هذا الفصل .

(٢) راجع البحث التالي الخاص بحديقة المتوكل للوحوش في هذا الفصل وفي الفصل السادس.

(٣) راجع البحث التالي الخاص بالمسجد الجامع الكبير في هذا الفصل .

(٤) حول الجوسق انظر ما تقدم في صفحة ٧٤

(٥) راجع الطبري (٣ : ١٤٧٢ ـ ١٤٧٥ ، ١٧٨٧ ـ ١٧٨٩ ، ١٨٠٢ ، ١٨٠٤ ، ١٨١٠)

وقد ورد ذكر « حائط الحير » فيما دونه المؤرخون عن بعض الحوادث التاريخية المتصلة بذلك العهد ، فسمي باسم « حائطي الحير » مما يدل على انه كان حائطان ينفصل أحدهما عن الآخر ، فروي الطبري حادث أسر بابك وذهاب المعتصم متنكراً الى المطيرة ليزور الافشين على أثر رجوعه من حملته قال « ان المعتصم ركب اليه بين الحائطين في الحير فدخل عليه متنكراً الخ ... »[١] وقال أيضاً انه لما مات احمد بن اسرائيل سنة ٢٥٥ هـ دفن بين الحائطين[٢] . وجاء ذكر الحائطين أيضاً فيما رواه الطبري عن بعض الحوادث التي تتصل بعهد المهتدي .

ج ـ المسجد الجامع الكبير

وانشأ المتوكل في حدود الحير خارج البناء مسجداً جامعاً واسعاً ليحل محل الجامع القديم الذي كان قد انشأه المعتصم على شارع السريجة والذي على حد قول اليعقوبي ضاق بالناس فهدمه المتوكل وبنى عوضاً عنه هذا الجامع الكبير[٣].

وقد ذكر ياقوت في معجمه ان المتوكل « اقطع الناس في ظهر سرّ من رأى في الحير الذي كان احتجره المعتصم واتسع الناس بذلك وبنى مسجداً جامعاً فاعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو اصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر اليها من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول » . وقريب من هذا ما رواه البلاذري ونصه : « لما استخلف المتوكل هارون الواثق بالله في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فاقام بالهاروني وبنى بناء كثيراً وأقطع الناس في ظهر سرّ من رأى بالحائر الذي كان المعتصم بالله احتجره بها قطائع فاتسعوا بها وبنى مسجداً جامعاً كبيراً واعظم النفقة عليه وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها حتى نظر اليها من فراسخ ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول ».

---

(١) راجع الطبري (٣ : ١٢٣٠)

(٢) الطبري (٣ : ١٧٢٣)

(٣) راجع ماتقدم في صفحة ٦٤

تصوير رقم ٥ – مدينة سامراء الحالية وبقايا الجامع الكبير ومئذنة الملوية (صورة جوية)

ويشاهد المرء آثار المسجد الجامع هذا مع مئذنته المعروفة باسم « الملوية » شمالي شرقي مدينة سامراء الحديثة مباشرة، وهي تعد من أهم الآثار الماثلة للعيان من مدينة سامراء القديمة، ويمتاز هذا الجامع مع مئذنته عن بقية الجوامع بفسحته وضخامته وبمئذنته الغريبة . اما بناء الجامع فلم يبق منه غير جدرانه الخارجية التي تحيط بساحة مستطيلة طولها نحو ٢٤٠ متراً وعرضها ١٥٨ متراً. ويبلغ ارتفاع الجدران زهاء عشرة امتار وثخنها حوالي المترين وهي مبنية بالآجر . وقد دعمت هذه الجدران من خارجها بأبراج نصف دائرية وعددها اربعون برجاً (راجع رسم ٣ ولوحة رقم ٧ وتصوير رقم ٥) .

وكان في جدران المسجد واحد وعشرون باباً تختلف سعة كل منها باختلاف الموقع من الحيطان ، فتبلغ سعة أكبرها ٤٫٧٥ متراً وسعة اصغرها ١٫٥٠ متراً. ومن هذه الابواب خمسة في الضلع الشمالية لحائط المسجد وثمانية في كل من الضلعين المستطيلتين اللتين في الشرق والغرب ، وتتفق مواقع الابواب في الحائط الشرقي مع مواقع أبواب الجانب الغربي . اما الضلع الجنوبية فلا يوجد فيها غير المحراب الذي يواجه «القبلة» . وقد اختيرت مواقع الابواب بحيث تتفق ونظام الاروقة في حرم المسجد .

ويستدل من استكشافات هرزفلد على انه كان في حرم المسجد ٢٥ رواقاً الاوسط منها اكثر اتساعاً من البقية و ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل منها عشرة عمد ، هذا عدا الايوان الشمالي وفيه ٢٤ صفاً من الاعمدة في كل صف منها ثلاثة عمد والرواقين الجانبيين في كل منها ٢٢ صفاً من الاعمدة في كل صف منها أربعة عمد . وبذلك تكون جملة عدد الاعمدة ٤٨٨ عموداً . وكانت السقوف ترتكز على العمد مباشرة دون طيقان من البناء .

اما المحراب فهو مستطيل اذ يبلغ عرضه ٢٫٥٩ متراً وعمقه ١٫٧٥ متراً ، وكان يحف به من الجانبين زوجان من اعمدة الرخام وردية اللون ذات قواعد وتيجان

على شكل الساعة كانت قد جلبت من عينتاب . وكان يرتكز على هذه الاعمدة عقدان رأسيان (Pointed) يضمها أطار مستطيل يرتفع بارتفاع المسجد .

وكان في وسط صحن المسجد فوّارة عظيمة وهي التي ذكرها اليعقوبي بقوله « وجعل فيه (أي المسجد) فوارة ماء لاينقطع ماؤها » ، ووصفها المستوفي بانها كانت من قطعة واحدة من الحجر محيطها ٢٣ ذراعاً وارتفاعها سبعة اذرع وثخنها نصف ذراع وكانت تعرف بـ « كأس فرعون». وروى المستوفي أيضاً ان مئذنة المسجد كان ارتفاعها ١٧٠ ذراعاً يرقى اليها من الخارج وهي منفردة في طرازها ولم يبن نظيرها من قبل . وقد عزا المستوفي بناء الفوارة والمئذنة الى المعتصم على ان المصادر التاريخية تشير الى انها تعود الى عهد المتوكل .

وقد اثبتت حفريات هرزفلد ان الاساس الاسطواني لقاعدة الفوّارة كان مبنياً بالطوب ومونة الجير والرماد. اما كأسها فكانت مرتكزة على قاعدة مكسوّة بالرخام وقد عثر بجوار الفوارة خارج الاساس الاسطواني على قطع من اعمدة الرخام والتيجان وعلى زخارف جصية منقوشة ومذهّبة ومحلاة بالفسيفساء الزجاجية . ولذلك يظن أن قد كانت هناك سقيفة من الخشب محمولة على دائرة من الاعمدة مرفوعة فوق هذه النافورة المسماة « كأس فرعون » .

وقد ثبت لنا من تدقيقاتنا ان الفوّارة هذه كانت تستمد مياهها من القناة التي انشأها المتوكل لايصال المياه الى مدينة سرّ من رأى ، وهي القناة التي كانت تبدأ من شمالي الدور فتسير الى مسافة حوالي أربعين كيلومتراً حتى تصل الى قلب العاصمة[1]

ويستدل من حفريات هرزفلد في منطقة المسجد على انه كان يحيط بالمسجد سور عظيم من الآجر من جوانبه الشرقية والغربية والجنوبية، وكان يحيط بهذا المستطيل

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بهذه القناة في الفصل الخامس

العظيم من جوانبه الاربعة سور آخر يفصله عن السور الاول فضاء مكشوف عظيم الاتساع في الشرق والجنوب والغرب واكثر ضيقاً في الشمال . ويتضح من حفريات هرزفلد في سنة ١٩١٢-١٩١٣ ان اضلاع السور الخارجي كانت تبلغ ٣٧٦ × ٤٤٤ متراً اي ان مساحة المسجد والزيادات التي في خارجه كانت تربى على ١٧ هكتاراً أو اكثر من ٦٨ دونماً عراقياً (مشارة) .

اما المئذنة الملوية فتقع على بعد ٢٥ متراً من حائط المسجد الشمالي، وعلى محوره الاوسط تماماً، وطول ضلع قاعدتها المربعة ٣٢ متراً وهي تتصل بالمسجد باساس عرضه ١٣ متراً ، وتعلو هذه القاعده مئذنة حلزونية ذات مرقى سعته ٥٠ر٢ متراً يبدأ من وسط الجانب الجنوبي للقاعدة ويدور في اتجاه عكس عقارب الساعة حتى تتم دورات خمس . ويعتقد هرزفلد ان هذا المرقى كان به قديماً ستائر خشبية لان بالدرجات ثقوباً يظن انها عملت لتثبيت قوائم هـذه الستائر الخشبية وترتفع قمة المئذنة عن القاعدة المذكورة بمقدار خمسين متراً . وفي القمة ثمانية ثقوب استنتج هرزفلد من وجودها انه ربما كانت تغطي هذا الموضع سقيفة مرفوعة على ثمانية اعمدة خشبية مثبتة في هذه الثقوب[1]

ويتفق علماء الآثار بان فكرة بناء مئذنة ذات مرقى حلزوني كالمئذنة التي تقدم وصفها مشتقة من الزيجورات البابلية القديمة لانها على طراز الزقورة التي كان يتخذها الصابئة من الكلدانيين والحرانيين والبابليين في بيوت عباداتهم وكان يسميها العرب الهيكل .

وقد بلغت النفقة على المسجد خمسة عشر الف الف درهم كما روى ياقوت الحموي أو مايساوي ستمائة الف دينار . اما تاريخ انشائه فقد ذكر سبط بن الجوزي ان البدء ببنائه كان سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٩ م) وكان الانتهاء منه في سنة ٢٣٧ هـ (٨٥٢ م) .

---

(١) راجع رسم المئذنة الملوية على الغلاف .

وأشار اليعقوبي الى ان المتوكل «جعل الطرق الى المسجد من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح في كل صف حوانيت فيها أصناف التجارات والصناعات والبياعات ، عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء لئلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه وبخيله ورجله ومن كل صف الى الذي يليه دروب وسكك فيها قطائع جماعة من عامة الناس فاتسعت على الناس المنازل والدروب واتسع أهل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والاسواق التي في صفوف المسجد الجامع ، واقطع نجاح بن سلمة الكاتب في آخر الصفوف مما يلي قبلة المسجد واقطع احمد بن اسرائيل الكاتب أيضاً بالقرب من ذلك ، واقطع محمد بن موسى المنجم واخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشميين وغيرهم »[1]

يتضح مما تقدم ان الشوارع الثلاثة التي كانت تؤدي الى المسجد كانت تنزل من الشمال من جهة وادي ابراهيم بن رياح فتفضي الى مئذنة الملوية ثم الى المسجد في جانب الحائط الشمالي الذي كانت فيه خمسة ابواب وهي الابواب المقابلة للقبلة. ومما يلفت النظر ان هرزفلد رسم هذه الشوارع الثلاثة في الخارطة التي وضعها عن سامراء القديمة بحسب وصف اليعقوبي وهي صاعدة من الجنوب الى الشمال نحو الحائط الجنوبي للمسجد ، وهو الحائط الذي يقع فيه المحراب وكان بدون ابواب . ولا شك ان ذلك بعيد كل البعد عن الواقع وهو لا يتفق ووصف اليعقوبي الذي يشير بصورة واضحة الى ان الشوارع الثلاثة كانت تنزل من جهة وادي ابراهيم بن رياح، وهو الوادي الواقع في الشمال. وفضلاً عن ذلك لا يمكن تصور هذه الشوارع في جنوب المسجد في حين ان الخلفاء كانوا يسكنون في القصور الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد كقصر الجوسق وقصر الهاروني . ثم ليس من المعقول ان تتجه الشوارع في اتجاه حائط القبلة الذي يقع فيه المحراب وهو بدون أي مدخل .

(١) « كتاب البلدان » لليعقوبي (طبعة النجف) ص ٣٢

وفيما ذكره الطبري عن حادث مقتل موسى بن بغا في سنة ٢٥٦ هـ دليل واضح على أن الطريق المؤدي الى المسجد بين الجوسق والمسجد كان من جهة مئذنة الملوية أي من الشمال ، فقال الطبري مانصه : « وفي سنة ٢٥٦ اخرج العامة موسى بن بغا من داره ثم اخرجوه من باب الحير الذي يلي قبلة المسجد الجامع ليذهبوا به الى الجوسق فلما صاروا به الى حد المنارة ضربه رجل من اصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه الخ ... »(١)

ويشاهد بجانب المسجد وعن شماله من الغرب سور من اللبن يسمى « سور عيسى » أو « سور ام عيسى » يضم داخله بقايا بناء ، ولا يعلم على التحقيق من هو هذا عيسى هل هو عيسى بن علي أو عيسى بن موسى العباسي ، لان اليعقوبي لم يذكره في كتاب البلدان عند ايراده الاقطاعات التي اقطعها الخليفة أصحابه. وبناء هذا السور من اللبن طوله ٣٦٠ متراً وعرضه ٢٠٠ متر . ويشاهد المرء وراء السور على مسافة ٢٠٠ متر عنه تلولاً كثيرة كشف الدكتور هرزفلد عن قسم منها يعرف باسم « دار بهلول » فظهرت فيه أبنية هي عبارة عن غرف متصلة بعضها ببعض وبناؤها باللبن ومطلى خارجها بالجص وعلى الجص غشاء من البورق ، كما يشاهد على كيلو مترين من السور شمالاً آكام وتلول على جانبي الطريق الذي في الحدود الشرقية للاطلال تعرف الآن بـ « مدق الطبل » ، وقد دلت التنقيبات فيها انها كانت دوراً واسعة تشتمل على كثير من الحجرات كلها مزينة بالزخارف والتخاريم الجصية .

د ـ هير الحيوانات وبركة البحتري

وقد وسع المتوكل حدود مدينة سرمن رأى فامتد العمران خلف حدود طرق الحير في الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد الجامع ، وكان من جملة مشاريعه

(١) الطبري (٣ : ١٨١٠)

في تلك الجهة انشاء حديقة واسعة للحيوانات الوحشية . ولا تزال آثار السور الذي كان يحيط بهذه الحديقة باقية حتى الآن شرقي حدود بناء سامراء القديمة، فيبلغ مجموع طول محيط هذا السور حوالي ثلاثين كيلومتراً يضم مستطيلاً تزيد مساحته على العشرين الف دونم عراقي (مشارة) . ويحتوي هذا المستطيل على ساحة واسعة تعد من أجمل الاراضي السهلة الخصبة في منطقة سامراء . وكانت البركة الجعفرية المشهورة التي وصفها البحتري في قصيدته المقصورة ضمن هذه الحديقة الواسعة ، كما كان امام البركة قصر فخم يستدل من آثاره على انه كان أحد قصور الخليفة المعدة لنزهته .

وتتجه الضلعان الجانبيتان لسور الحديقة نحو الشمال تماماً فتتصل الضلع الغربية بـ « حائر الحير » في منتهى هذا الضلع من الجنوب في نقطة تقع على بعد أحد عشر كيلومتراً تقريباً من المسجد الجامع ، غير ان الضلع المذكورة تقترب من المسجد في حدها الشمالي حيث لا تتجاوز المسافة بين ذلك الحد وبين المسجد الستة كيلومترات (راجع رسم رقم ١٣ ولوحة رقم ٢ ولوحة رقم ٧)

ويلاحظ ان هرزفلد كان يظن بأن حديقة الحيوانات هذه كانت تقع في شمال المسجد الجامع أي في الطرف الشرقي لدار العامة وان حلبة السباق التي خلف الدار (راجع ص ٧١) تقع في الحديقة نفسها . وكان يظن أيضاً ان « حائر الحير » كان في ذلك الموضع أيضاً ، فرسمه في ظهر الحديقة من الغرب ، هـــذا في حين أن حائر الحير كان يمتد من قرب سامراء الحالية الى الجنوب الشرقي ، وبعد أن يقطع مسافة ١٢ كيلومتراً في هذا الاتجاه يتصل بحير الحيوانات الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد(١) . ويظهر انه بعد ان وقف على ما توصلنا اليه من نتائج في صدد موضع حير الحيوانات عاد فغير رأيه هذا وكتب مؤيداً بان السور الذي أشرنا اليه وهو السور الذي في جنوب شرقي المسجد هو سور

(١) راجع ماتقدم عن « حائر الحير » في صفحة ١٠٦

حير الحيوانات الذي كان يتصيد الخليفة فيه ، وان حائر الحير يقع هناك(١) .

٥ ـ ساحة الحير وحلبات السباق وتل العليق

وكانت هناك خلف حدود البناء الخارجية لمدينة سر من رأى في الفسحة التي بين تلك الحدود وبين حير الحيوانات ساحة واسعة تعرف بـ« ساحة الحير» . وهذه تقع بين ضفة القاطول الكسروي الغربية وحدود مدينة سر من رأى الشرقية، وكانت حلبة السباق تقع في الجهة الشمالية من هذه الساحة كما كانت الجبهة الشرقية من دار الخليفة وقصر الجوسق تطل عليها . وكانت هذه الساحة مركزاً للمظاهرات تحتشد فيها الجموع والمواكب في الثورات المحلية كما كانت تقام فيها المناورات العسكرية وما أشبه ذلك . وكثيراً ما كان يعسكر فيها الجنود في مثل هـذه الحالات . ففي حوادث الفتن التي وقعت في عهد المهتدي عسكر المهتدي مع جنوده في هذه الساحة، وهذا نص ما كتبه الطبري في هذه الحوادث قال:« ان المهتدي بعد أن خرج من الجوسق عسكر في ساحة الحير بالقرب من موضع الحلبة وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فتضرب في الحير »(٢)

ويشاهد في غربي ساحة الحير هذه على الحدود الشرقية لمباني سامراء القديمة آثار ثلاث حلبات سباق أحدثها واكثرها تنسيقاً تلك التي تقع في حدود الحير شمال شرقي المسجد الجامع الكبير بقليل ، وهي مكونة من أربع حلقات كبيرة حول مربع مركزي فيه دكة مرتفعة معدة لجلوس الخليفة وحاشيته . ويبلغ طول الدورة الكاملة في هذه الحلقات المتتالية ما يزيد على خمسة كيلومترات في حين ان البعد الاعظم من الدكة المركزية على طول هذه الحلقات تقل عن ٦٠٠ متر . وهكذا كان المتسابقون يقطعون في هذه المساحة مسافة طويلة دون أن

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بحير المتوكل للوحوش وبركة البحتري في الفصلين السادس والسابع .

(٢) راجع الطبري (٣ : ١٨٠٤)

يتباعدوا عن الدكة المركزية أكثر من ستمائة متر في جميع الأحوال ، والأرجح ن هذه الحلبة هي نفس الحلبة التي أشار اليها الطبري (راجع الرسمين ٣ و ١٣ واللوحتين رقم ٢ و ٧) .

اما الحلبتان الاخريان فتتكون كل منهما من حلقة واحدة مستطيلة يبدأ داخلها ضيقاً من أحد رأسي الحلقة ثم يتوسع تدريجياً على طول الحلقة حتى يبلغ أقصى سعته في الرأس الثاني . وأولى الحلبتين وهي أقدم الحلبات الثلاثة تبدأ عند الحدود الشرقية لبيت الخليفة وذلك من الرأس الضيق للحلقة فتمتد طولاً الى جهة الشرق الى داخل ساحة الحير حتى تنتهي بالقرب من الضفة اليمنى لنهر القاطول(١) حيث تقع الجهة الواسعة للحلقة . ويبلغ طول الحلقة بين الرأسين حوالي خمسة كيلومترات في حين ان محيطها يبلغ أكثر من عشرة كيلومترات ونظراً لاتصال هذه الحلبة ببيت الخليفة قد يكون من المناسب أن نطلق عليها اسم « حلبة بيت الخليفة » لتميزها عن الحلبات الاخرى المجاورة لها(٢)

اما الحلبة الثانية فتتكون من حلقة مستطيلة أيضاً وتختلف عن حلبة بيت الخليفة في كونها تبدأ عند تل اصطناعي يقع في الشمال . ويرتفع هذا التل بحيث يشرف على جميع منطقة سامراء ، والتل المذكور مخروطي الشكل ويدعى « تل العليج » (تل العليق) ، وكان فوق قمته بناء يحتمل انه « قصر التل » الذي ورد ذكره في معجم ياقوت والمصادر العربية الاخرى. ونظراً لاتصال هذه الحلبة بالتل المذكور فقد يصح لنا ان نطلق عليها اسم « حلبة تل العليق» . وتبدأ هذه الحلبة عند تل العليق المار الذكر وذلك في الرأس الضيق لحلقة الحلبة فتمتد الى الجنوب مخترقة في امتدادها الرأس الغربي لحلقة حلبة بيت الخليفة حتى تنتهي قرب المسجد الجامع الكبير . ولم يبق من معالم هذه الحلبة إلا الجانب الشرقي

---

(١) راجع البحث التالي عن القاطول الكسروي في الفصل الثالث .

(٢) راجع البحث الذي تقدم عن حلبة سباق بيت الخليفة وساحة اللعب في صفحة ٧١

للحلقة ، الذي يمتد مسافة خمسة كيلومترات تقريباً ، حيث ينتهي أمام المسجد الجامع الـكبير من جهة الشرق. اما الطرف الغربي فقد محت معالمه الحلبة الاخيرة ذات الاربع حلقات التي تقع فيه تماماً (راجع رسم رقم ٣) .

ويعد تل العليق من أهم المواقع الأثرية في سامراء التي تسترعي التفات الزائر فانا اذا ألقينا نظرة على تصويره المأخوذ من الجو نجد انه محاط بخندق واسع ، كما نشاهد حوله معالم سور مستدير والى شماله طريقاً منحدراً من قمته يعبر الخندق ، وربما كانت عليه قنطرة، ثم يستمر في اتجاهه مابين الخندق والسور، ومنه الى مسافة نصف كيلومتر تقريباً . ويبلغ عمق الخندق نحو ثلاثة امتار ، وقطر التل مائتي متر ، واما قطر السور المحيط به وبالخندق فنحو اربعمائة وخمسين متراً . وتوجد في شمال التل مباشرة اطلال تسمى « تلول المدرسة » ، ومن المرجح ان تـكون هذه الاطلال من بقايا مقصورة كانت معدّة لراحة الخليفة وحاشيته ولتناول الطعام فيها أثناء حفلات السباق، ودليلنا على ان لهذه الاطلال صلة مباشرة بالتل وجود آثار سور يمتد بين التل نفسه والاطلال .

وكانت المياه تصل الى الخندق الذي يحيط بتل العليق من القناة التي حفرها المتوكل لايصال المياه الى سامراء ، وهي القناة التي تبدأ من حافة دجلة الشرقية في نقطة تقع شمالي قرية الدور الحالية بقليل ، فتسير بموازاة دجلة تاركة تل العليق الى يسارها حتى تنتهي الى سامراء . وكان هناك فرع خاص يتشعب من القناة من أمام التل فيفضي الى الخندق الذي يحيط بالتل(١) كما انه كان كهريز خاص يخرج من الخندق من جهته الجنوبية فيتجه نحو القناة ، وكان هذا الـكهريز يرجّع المياه الى القناة بعد امتلاء الخندق . وبذلك كانت المياه دائمة الجري فتدخل الى الخندق من الجهة الشمالية وبعد امتلاء الخندق تعود الى القناة من الجهة الجنوبية . ولا تزال آثار هذين الـكهريزين (المدخل والمخرج)

(١) راجع البحث الذي يلي عن هذه القناة في الفصل الخامس من الـكتاب .

واضحة المعالم يمكن تتبعها في جوار التل بسهولة (راجع لوحة رقم ٢ ورسم رقم ١٣).

ويعلل الناس تسمية « تل العليق » برواية يتناقلونها أباً عن جد، وهي أن التل تكوّن من التراب الذي نقله الجنود الخيالة بعليق خيولهم، ويروون ان الخليفة المتوكل أراد أن يظهر كثرة جنوده بدليل عياني محسوس فأمر بان يملأ كل واحد من جنوده الخيالة عليقه بالتراب ثم يرميه هناك، وتكوّن التل من التراب الذي تجمّع على هذا الوجه .

وقد اطلق المؤرخون على هذا التل اسم « تل المخالي »، ولعله سمّي كذلك للسبب الذي ذكر اعلاه وهو ان التل انشيء بالاتربة التي حملها العساكر بمخالي خيلهم . قال الراوندي في كتاب الخرايج ص ٢١٢ من طبع ايران مانصه: «ومنها حديث تل المخالي، وذلك ان المتوكل أمر العسكر وهم تسعون الف فارس من الاتراك الساكنين بسرّ من رأى أن يملأ كل واحد منهم مخلاة فرسه من الطين الاحمر ويجعلوا بعضه على بعض في وسط برية واسعة هناك فلما فعلوا ذلك صار مثل جبل عظيم الخ ... » وقد جاء في خاتمة روضة الصفا لمحمد خداوند شاه ذكر انشاء هذا التل بالطريقة المذكورة نفسها ثم انشاء قصر عال فوقه الا انه نسب انشاء التل والقصر الى المعتصم، والظاهر أن اسم المعتصم جاء هنا سهواً . واليك ما كتبه صاحب هذه الخاتمة قال : « ان المعتصم أمر عساكره ان يملئوا مخاليهم من التراب الاحمر و نبذوه في فضاء واسع حتى صار جبلا عظيماً ثم بنى عليه قصراً عالياً واعظم النفقة عليه » . هذا وقد جاء ذكر « تل المخالي » أيضاً في كتاب «خلاصة الذهب المسبوك» لعبد الرحمن الاربلي طبع بيروت ١٨٨٥ (ص ١٦٢).

ولقد درس هرزفلد هذا التل خلال تنقيباته في سامراء قبل الحرب العالمية الاولى فظهر له ان بناية صغيرة مربعة تشتمل على تسع غرف احداهن في الوسط كانت فوق قمته ، ولعل البناء المذكور كان القصر المعروف باسم « قصر التل »

الذي قيل انه يعود الى عهد المتوكل ، وذكر ياقوت ان المتوكل انفق على هذا القصر خمسة آلاف الف درهم علوه وسفله . وقد ذكر ابن المعتز هذا القصر في قصيدة جاء فيها :

فتلك اطـــلال لهم قفارا ترى الشياطين بهـا نهارا
بالتل والجوسق والقطائع كم ثم من دار لهم بلاقع

وقد اختلفت الآراء في تاريخ انشاء « تل العليق » كما اختلفت في معرفة الغاية التي انشي من أجلها فبعض المؤرخين من الافرنج يرى انه يرجع الى عهد الرومان والبعض الآخر يرى انه يرجع الى ماقبل ذلك العهد . إلا اننا نرى بان اتصال التل بقناة المتوكل هو اقوى دليل على انه من عمل المتوكل . أما القصد من انشائه فتكاد الآراء تجمع على انه انشي لتأمين تمتع الخليفة ورجال حاشيته بمناظر حلبة السباق من محل مرتفع يمتد فيه البصر الى اقصى حد الحلبة مما يساعد على تتبع حركات الخيول في هذه المسافة الطويلة .

ونستخلص من ذلك كله ان « حلبة بيت الخليفة » اقدم الحلبات الثلاث ثم تليها « حلبة تل العليق » ثم الحلبة الاخيرة ذات الاربع حلقات . والارجح ان حلبة بيت الخليفة يرجع تاريخ انشائها الى عهد المعتصم حيث نجد في الرأس الغربي لحلقة هذه الحلبة تلاً مرتفعاً على الحدود الشرقية لبيت الخليفة قد اعدّ لجلوس الخليفة وحاشيته على نمط تل العليق المنشأ في رأس الحلبة التي تتصل به(١). والظاهر ان هذه الحلبة أهملت بعد ان تم انشاء « حلبة تل العليق » التي صارت تمتد بعدئذ من الشمال الى الجنوب حيث اخترقت « حلبة تل العليق » القسم الشرقي من « حلبة بيت الخليفة » التي تسير من الغرب الى الشرق . ولما كانت الروايات التاريخية تؤيد كون «تل العليق» انشيء على عهد المتوكل لذلك نؤكد

(١) راجع البحث الذي تقدم في صفحة ٧١

بان « حلبة تل العليق » انشئت في ذلك العهد . ويرجح ان الحلبة الاخيرة ذات الاربع حلقات قد انشئت على عهد المتوكل أيضاً بعد أن هجرت « حلبة تل العليق » بدليل ان الحلبة الأخيرة هذه اخترقت ساحة « حلبة تل العليق » نفسها بحيث محت معالم الطرف الغربي من تلك الحلبة . ومما يؤيد أيضاً ان « حلبة بيت الخليفة » كانت قد انشئت في زمن المعتصم وانها اقدم الحلبات أن قسماً من سور « قصر الدكة » يخترق هذه الحلبة في الطرف الشمالي من حلقتها المستطيلة ، كما أن هناك آثار قصر آخر مع سوره الكامل تشاهد داخل ساحة هذه الحلبة[1] .

وفيما يلي ملاحظات دائرة الآثار العراقية حول الحلبات الثلاث المذكورة : « يظهر ان أقدم هذه الحلبات هي التي تمتد خلف بيت الخليفة . تزيد طول دورة هـذه الحلبة على عشرة كيلومترات . ويبلغ بعدها الأعظم عن الدكة أربعة كيلومترات ونصف . ان طول الدورة كان يساعد على سباقات كبيرة غير ان الخيول كانت تتباعد عن الدكة في هذه الحلبة تباعداً كبيراً ، لايترك مجالاً لتتبع حركاتها .

« وأما الحلبة التي تبدأ من تل العليق فليست واضحة المعالم إلا في قسمها الأول ، مع هذا فان اتجاه هذا القسم كاف للحكم على ان هذه الحلبة كانت طويلة جداً ، وطبيعي ان علو التل كان يساعد على تتبع حركات الخيول من هذه المسافات الكبيرة ، غير أن ذلك كان مما يتطلب جهداً كبيراً وانتباهاً شديداً .

« واما ساحة الفروسية ـ التي وصفنا شكلها البديع ـ فيظهر انها استحدثت بعد ذلك أيضاً ، بغية ايجاد حلبة سباق يبقى المتسابقون فيها تحت النظر على الدوام ... »[2]

(١) راجع البحث التالي الخاص بـ « قصر الدكة » في هذا الفصل .
(٢) نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء ص ٦٤ ـ ٦٥

وبعد ما أنشده البحتري في وصف الحلبة من ارقى شعره ، فقال وهو يمدح المتوكل :ـ

ياحسن مبدي الخيل في بكورها ... تلوح كالانجم في دجورها
كأنما أبدع في تشهيرها ... مصور حسن من تصويرها
تحمل غرباناً على ظهورها ... في البيرق المنقوش من حريرها
إن حاذروا النبوة من نفورها ... أهووا بأيديهم الى نحورها
كأنها والحبل في صدورها ... أجادل تنهض في سيورها
مرّت تباري الريح في مرورها ... والشمس قد غاب ضياء نورها
في الرهّج الساطع من تنويرها ... حتى إذا أصغت إلى مديرها
وانقلبت تهبط في حدورها ... تصوّب الطير إلى وكورها
صار الرجال شرفاً لسورها ... أعطي فضل السبق من جمهورها
من فضّل الأمة في امورها ... في فضلها وبذلها وخيرها
جعفر الذائد عن ثغورها ... تبهى به وهو على سريرها
خلافة وفّق في تدبيرها

و ـ « قصر الركة » في ساحة الحير

وكان في الحدود الشمالية الغربية لساحة الحير قصر يسمى بالدكة ، وكان هذا القصر يقع على ضفة نهر القاطول الكسروي(١) اليمنى في شرقي تل العليق ، وكان امامه بركة مدورة تستمد مياهها من فرع خاص يتشعب من قناة سامراء ـ وهي القناة التي حفرها المتوكل لايصال مياه دجلة الى مدينة سامراء(٢) ـ كما كانت أمامه ساحة واسعة تبلغ مساحتها حوالي ١٥٠٠ دونم (مشارة) ، وكانت

(١) حول نهر القاطول الكسروي المذكور راجع البحث التالي الخاص بتاريخ النهروان وتطوره في الفصل الثاني .
(٢) راجع البحث التالي الخاص بهذه القناة في الفصل الخامس .

الساحة مسوّرة بجدار على شكل مستطيل قائم الزوايا ، تمتد الضلع الشمالية مسافة حوالي كيلو مترين ونصف بين ضفة القاطول الكسروي وتل العليق ، ومن قرب تل العليق تنحرف الضلع الثانية فتسير الى الجنوب الشرقي بموازاة القاطول الكسروي حوالي كيلومتر ونصف كيلومتر ، وتخترق الضلع الثانية هذه الحلبة القديمة (حلبة بيت الخليفة)مما يدل على أن القصر والسور أنشئا بعد أن أهملت هذه الحلبة وحلت محلها « حلبة تل العليق ». وتوجد آثار بناء في منتصف كل من الضلعين الطوليتين كما انه توجد آثار بناء في منتصف الضلع التي تخترق الحلبة مقابل بناية القصر الواقعة على ضفة القاطول الكسروي تماماً . ويستدل من مواقع هذه الآثار انها كانت أبواباً رئيسية في منتصف هذه الاضلاع الثلاثة . ويتضح من ذلك ان السور يقع في ثلاث اضلاع فاما الضلع الرابعة فهي ضفة القاطول الكسروي المرتفعة وهي الضفة التي يقع عليها القصر .

وقد ذكر الطبري موقع الدكة فيما رواه عن حادثة مقتل صالح بن وصيف سنة ٢٥٦هـ قال : « وتحلّب الناس وتهايجوا من دار أمير المؤمنين فركبوا في السلاح وأخذوا في الحير حتى اجتمعوا مابين الدكة وظهر المسجد (جامع الملوية) . » وهذه هي ساحة الحير التي تقدم وصفها[1] والتي تقع بين القاطول الكسروي الذي عليه الدكة وبين جامع الملوية (راجع اللوحتين ٢ و ٧ والرسم ١٩) . وجاء ذكر موقع الدكة أيضاً بمناسبة اخرى في نفس المصدر[2].

ويرجّح ان يكون قصر الدكة المذكور القصر الذي كان يعرف باسم « قصر الساج » بدليل ان البحتري لما وصف هذا القصر أشار الى نهر كان يبدأ من قرب قصر الجعفري وينتهي عنده فيوصل بينه وبين قصر الجعفري ، ولا

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن ساحة الحير في صفحة ١١٦ والبحث التالي في الفصل السادس .

(٢) راجع الطبري (٣ : ١٨٠٧ ، ١٨٣٠)

شك ان النهر المذكور هو النهر الذي كان يتفرع من قناة سامراء . وقد ذكر البحتري ايضاً انهذا القصر يقع خارج سامراء في ساحة خضراء مليئةبالاشجار المورقة والمزهرة والمثمرة ولـكنه غير بعيد عنها . واني لم أجد أثراً آخر ينطبق عليه وصف البحتري المار ذكره كما انطبق على اطلال الدكة السالفة الذكر . وفيما يلي نص الأبيات التي أنشدها البحتري في وصف القصر والنهر كما وردت في قصيدة قافية يمدح بها المعتز ، قال :

شجر على خضر ترفّ غصونه ... من مزهر أو مثمر أو مورق
وكأن قصر الساج خلة عاشقٍ ... برزت لوامقها بوجـه مونق
قصر تـكامل حسنه في قامة ... بيضـاء واسطـةٍ لبحر محدق
داني المحل فلا المزار بشـاسع ... عمن يزور ولا الفناء بضيّـق
قـدّرته تقـدير غير مفرط ... وبنيتـه بنيان غير مشفق
ووصلت بين الجعفري وبينـه ... بالنهر يحمل من جنوب الخندق
نهر كأنّ الماء في حجراته ... إفرند متن الصـارم المتألق
فاذا الرّياح لعبن فيه بسطن من ... موج عليـه مدرّج مترقرق
ألحقـه يا خير الورى بمسيره ... وامدد فضول عبـابه المتدفق

يستدل مما تقدم ان المعتز (٢٥١ ـ ٢٥٥ هـ) هو الذي انشأ هذا القصر ، وعليه يجوز لنا القول بان النهر الذي فتح من قناة سامراء ليفضي الى القصر كان من عمل المعتز أيضاً .

وتوجد آثار قصر آخر في داخل الحلبة القديمة (حلبة بيت الخليفة) في حدها الشمالي ، وهذه تقع في جنوب شرقي تل العليق بالقرب من الركن الجنوبي الغربي لسور قصر الدكة . وفي هذا القصر ساحة واسعة مسوّرة بسور مستطيل قائم الزوايا أيضاً . ويقع القصر في داخل السور في منتصف احدى ضلعي السور اللتين تمتدان في العرض . ويبلغ طول الضلع الطولية زهاء أربعمائة متر وطول

الضلع العرضية حوالي ٢٦٥ متراً ، وبذلك تكون مساحة الساحة حوالي ٤٢ دونماً عراقياً (مشارة) . ووقوع هذا القصر وسوره داخل حلبة بيت الخليفة يدلنا على انه من جملة القصور التي انشئت بعد اهمال حلبة بيت الخليفة (راجع اللوحة رقم ٢ والرسم رقم ١٩) .

ويحتمل أن تكون هذه الاطلال من بقايا قصر البديع الذي كان قد انشيء على عهد المتوكل بدليل ان البحتري لما وصف هذا القصر اقترح على المعتز أن يمد فرع قناة سامراء الذي انشأه لتموين قصر الدكة (قصر الساج) بالماء فيوصله الى قصر البديع ومنه ينهيه في دجلة قرب الجوسق . وهذا يدل على ان قصر الجوسق كان يقع بالقرب من دجلة غربي قصر البديع ، ويكون ذلك جنوبي دار الخليفة . وهذا ما أنشده البحتري بصدد النهر المذكور قال وهو يخاطب المعتز :

ألحقه يا خير الورى بمسيره وامدد فضول عبابه المتدفق
فاذا بلغت به البديع فانما انزلت دجلة في فناء الجوسق[1]

وقد أشار الطبري الى أن المتوكل لما أنشأ قصر الجعفري بالمتوكلية[2] أمر بنقض قصر البديع وحمل ساجه اليه .

ز ـ قصر بركوارا (المنتور)

بحثنا فيما تقدم عن التوسع العمراني الذي احدثه المتوكل على الجهة الشرقية من مدينة سر من رأى وننتقل الآن الى ذكر اعماله العمرانية التي أقامها في اقصى الجنوب في جوار المطيرة [3] وفي اقصى الشمال في جهة كرخ أشناس ودور عربايا[4] . اما من جهة الجنوب فقد أنشأ خلف المطيرة بناء سماه « بلكوارا »

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن الجوسق في صفحة ٧٤
(٢) راجع البحث التالي الخاص بمدينة المتوكلية وقصورها في هذا الفصل .
(٣) حول « المطيرة » راجع ما تقدم في ص ٥٩ ـ ٦١
(٤) حول « كرخ اشناس » و « دور عربايا » راجع البحث الذي تقدم في ص٥٧ـ٥٩

تصوير رقم ٥ أ – اطلال قصر بلـكوارا (المنقور)

openkutub.com

(وقدسماه بعض المؤرخين « بركوارا » والبعض الآخر « بزكوار »)[١] وانزل ابنه المعتز في هذا البناء . ويقال لهـذا الموضع اليوم « المنقور » وهو يبعد ستة كيلومترات الى الجنوب من مدينة سامراء الحديثة عند الطرف الجنوبي بمنطقة الاطلال القديمة . ويعد العلامة كرزول قصر بلـكوارا « من أعظم المنشئات المعمارية لسكبر مساحته وحجمه وكثرة الظواهر الفنية المعمارية فيه » .

وقد اكتشف هرزفلد هـذه المنطقة سنة ١٩١١ فاستمرت حفرياته فيها من ١٢ تموز الى ٩ تشرين الأول ، والقصر الذي اكتشفه هنالك تزيد مساحته على ثلاثة اضعاف مساحة مدينة سامراء الحالية، ويحيط بهذا القصرسور ذو ابراج مستطيل التخطيط طول ضلعه ١٢٥٠ متراً يرتـكز جانبه الجنوبي على شاطىء دجلة الصخري الذي يرتفع هنا بمقدار خمسة وعشرين متراً ، وقد اكتشف هرزفلد في هذا القصر ايضاً بعض الزخارف الجصية التي كانت تـكسو جدران القصر من الداخل (راجع تصوير رقم ٥ أ) .

وكان للبناء ثلاثة أبواب تقع في منتصف الجدران الثلاثة غير المطلة على النهر أي الشمالية والشرقية والغربية ويخترق البناء شارعان رئيسيان متقاطعان . وكان البناء يشتمل على مجموعة من المنازل وثـكنات للعشاة والحرس ، وكان من ضمن القصر حديقة يحيط بها سور ذو دعامات أو فصوص وينتهي عند الشاطىء نفسه بسقيفات غنية بالزخارف والى جانب الحديقة مرفأ للسفن وفي وسطها حوض للماء .

وقد تطرق الشابشتي في كتابه الديارات الى وصف القصر فقال : « وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف ببركوارا ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز ، وجعل اعذاره فيه . وكان من أحسن أبنية المتوكل واجلّها ، وبلغت النفقة عليه

---

(١) لقد اختلف المؤرخون في تسمية هذا القصر فسماه ياقوت والطبري باسم « بزكوار » والشابشتي وابن سرابيون باسم « بركوارا » واليعقوبي باسم « بلـكوار » .

عشرين الف الف درهم » . وقد أيد ياقوت ذكر هذا المبلغ الذي صرف في بناء القصر والذي أشار اليه الشابشتي (١) .

واطلق ياقوت الحموي اسم « بزكوار » على هذا القصر (وذكره في مكان آخر باسم « بركوان ») فقال عنه انه « اسم بيت بناه المتوكل في قصر له بسر من رأى فقال بعضهم يذكره بعد خرابه وكتب على حائطه :

هذي ديار ملوك دبّروا زمناً ... أمر البلاد وكانوا سادة العرب
عصى الزمان عليهم بعد طاعته ... فانظر الى فعله بالجوسق الخرب
وبزكوار وبالمختار قد خليا ... من ذلك العز والسلطان والرتب

وجاء ذكر القصر في تاريخ الطبري باسم « بزكوار » ايضاً في استعراض حوادث سنة ٢٥٨ هـ فذكر أن المعتمد لما عقد لأخيه أبي احمد على ديار مضر وقنسرين والعواصم شيعه الى « بزكوار » وانصرف (٢) .

اما موضع قصر « بلكوارا » وتاريخ انشائه فقد ذكر اليعقوبي ان المتوكل « انزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع يقال له « بلكوارا » فاتصل البناء من بلكوارا الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار أربعة فراسخ » ، وقال في موضع آخر « ان المتوكل بنى مدينة جديدة سماها الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدورثم بالكرخ وسر من رأى ماراً الى الموضع الذي كان ينزله ابنه ابو عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا موضع لاعمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ » . وقد استنتج هرزفلد من قول اليعقوبي هذا ان اطلال المنقور وبنائها هي اطلال بلكوارا لأن المسافات التي ذكرها اليعقوبي وهي الأربعة والسبعة فراسخ توافق موقعه موافقة تامة وهي تكوّن الطرف الجنوبي لمنطقة الاطلال ، ولذلك لا بد ان يكون بلكوارا قد بني في عهد الخليفة المتوكل على الله . وقد

---

(١) راجع البحث الذي تقدم في صفحة ١٠٤
(١) راجع الطبري (٣ : ١٨٦٠)

عثر هرزفلد على كتابة أثرية بالخط الكوفي البسيط على كتلة من الخشب في احدى القاعات نصها « الامير المعتز بالله بن أمير المؤمنين » ، وهو لقب أبي عبد الله طلحة بن الخليفة المتوكل . ولما كان لقبه المعتز بالله قد طبع على النقود المسكوكة منذ سنة ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م) مما يدل على انه لم يلقب بذلك اللقب إلا منذ سنة ٢٤٠ هـ ، ولما كان المتوكل منذ سنة ٢٤٥ معنياً بانشاء مدينته الجديدة «الجعفرية» ، لذلك حصر هرزفلد التاريخ الذي بني به قصر بلكوارا بين سنتي ٢٤٠و٢٤٥هـ (٨٥٤و٨٥٩ م) .

مدينة المتوكلية وقصورها وشوارعها

لعل أهم التوسعات التي اجراها المتوكل هي الممتدة اليوم الى الجهة الشمالية حيث اختار مكاناً في تلك الجهة وبنى مدينة جديدة سماها المتوكلية ، أو الجعفرية، وانتقل اليها ، اما المكان الذي وقع اختياره عليه فيقال له « الماحوزة » وهو المكان الذي قيل عنه ان المعتصم كان قد فكر في انشاء مدينة فيه . وتقع خرائب المتوكلية على ضفة نهر دجلة في اقصى الشمال على بعد حوالي عشرة كيلومترات من آخر البناء الذي في الدور (دور العرباني) ، وهو الحد الشمالي لبناء المعتصم، ويكون ذلك على بعد حوالي ٢٠ كيلومتراً من شمالي سامراء الحالية . ويشاهد الزائر اليوم السور الضخم الذي يحيط بالمتوكلية والذي يبلغ مجموع طوله حوالي اربعة كيلومترات ونصف كيلومتر ، اما مساحة الارض التي في داخل السور فتبلغ حوالي ٥٤٠ دونماً (مشارة) . وهناك سور آخر في جنوب المدينة بقليل يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة فيفصل هذا السور الخارجي مدينة المتوكلية ومشتملاتها عن مدينة سر من رأى التي في الجنوب تاركا إياها في عزلة عن المدينة القديمة ، وفي هذا السور باب ضخم في وسط السور هو المدخل العام للمدينة .

ومما كتبه البلاذري بصدد انشاء مدينة المتوكلية قوله : « احدث المتوكل

مدينة سماها المتوكلية وعمّرها وأقام بها وأقطع الناس القطائع وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحوزة فيها ، وبنى بها مسجداً جامعاً وكان من ابتدائه اياها الى ان نزلها اشهر ونزلها في أول سنة ست واربعين ومائتين ثم توفي رحمه الله في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين » .

ونقل المتوكل جميع الدواوين الى مدينته الجديدة (المتوكلية) وأقطع ولاة عهوده وسائر أولاده وقواده وكتّابه وجنده والناس كافة ، فاتسع البناء في المنطقة الشمالية هذه التي تمتد بين آخر البناء في الدور (دور العربانى) من جهة وآخر الحدود الشمالية لمدينة المتوكلية من الجهة الاخرى مسافة حوالي خمسة عشر كيلومتراً . ولتأمين المواصلات العامة بين مدينته الجديدة (المتوكلية) وبين مدينة المعتصم (سامراء) مد الشارع الاعظم (وهو شارع السريجة الاعظم الذي ينتهي الى دار أشناس في الكرخ وهي الدار التي صارت في هذا الدور للفتح بن خاقان) مقدار ثلاثة فراسخ (أي حوالي ١٥ كيلومتراً) الى قصوره في الشمال ، وجعل دون قصوره ثلاثة أبواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه وأقطع الناس يمنة الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع وكذلك شق الدروب من جهتي الشارع الاعظم وكانت الدروب التي على جهة نهر دجلة تنتهي بالنهر هناك والدروب التي على الجهة الشرقية من الشارع تنتهي في آخر البناء من جهة الشرق (١) . ولا تزال آثار هذا الشارع جلية تحدها الخرائب من الجهتين (٢) ، كما انه لا تزال آثار بناء الابواب المذكورة باقية ظاهرة تشاهد في نهاية الشارع الاعظم وذلك في السور الخارجي لمدينة المتوكلية وقصورها ، وهو السور الذي يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة (راجع اللوحتين ١ و ٢ والرسمين ٢ و ١٧) .

---

(١) « كتاب البلدان » لليعقوبي .

(٢) راجع البحث التالي الخاص بالشارع الاعظم في الفصل الثامن .

وهكذا فقد اتصل البناء على ضفة نهر دجلة فيبدأ في أقصى الشمال من المتوكلية فالدور فكرخ أشناس فسر من رأى « ماداً الى الموضع الذي كان ينزله المعتز بن المتوكل ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا فرج ولا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ (حوالي ٣٤ كيلو متراً) » (١) .

ولتموين المدينة الجديدة بالمياه السيحية أخرج المتوكل نهراً من ضفة دجلة اليسرى من نقطة تقع على بعد حوالي أربعين كيلومتراً من شمال مدينة تكريت ، ويسير هذا النهر على محاذاة دجلة جنوباً مسافة حوالي ستين كيلومتراً حتى يصل الى المتوكلية ، وقد سمي « النهر الجعفري » وانفق عليه ما يقرب من مليون دينار إلا أنه كان مشروعاً فاشلاً للاسباب التي سيأتي البحث عنها في الفصول التالية (٢).

ويلاحظ أن المتوكل كان يشرف شخصياً على اعمال المدينة الجديدة في « الماحوزة » وعلى حفر النهر الذي يمدها بالمياه فانتقل من سر من رأى وجعل مقره في قرية « المحمدية » ليكون قريباً من ساحة العمل فيسهل الاشراف عليه عن كثب(٣) . أما موضع قرية المحمدية فيقول البلاذري انها قريبة من « الماحوزة » وانها كانت تعرف بـ « الايتاخية » نسبة الى ايتاخ التركي « ثم سماها المتوكل المحمدية باسم ابنه محمد المنتصر ، وكانت تعرف أولاً بدير أبي الصفرة وهم قوم من الخوارج ». غير ان ابن سرابيون اعتبر الايتاخية والمحمدية قريتين منفصلتين وقال انهما تقعان بالقرب من بعضهما على القاطول الأعلى الكسروي(٤) ـ الايتاخية من الشمال والمحمدية جنوبيها ـ ـ وذلك على مسافة قليلة من صدره . وأضاف ابن سرابيون الى ذلك قوله انه كان على القاطول جسر من الحجارة عند الايتاخية وجسر من الزواريق عند المحمدية .

---

(١) « كتاب البلدان » لليعقوبي .

(٢) راجع البحث التالي الخاص بمشروع « نهر الجعفري » في الفصل الثامن .

(٣) الطبري (٣ : ١٤٣٨)

(٤) راجع البحث التالي عن القاطول الكسروي المذكور في الفصلين الثاني والثالث .

وجاء ذكر « المحمدية » أيضاً فيما رواه الطبري عن مقتل أبي نصر في حوادث سنة ٢٥٦هـ ، ومما قاله عن هذا الحادث ان أبا نصر قبل ان يتم قتله لجأ الى المحمدية فكتب المهتدي اليه يعطيه الأمان على نفسه فوثق بذلك فرجع غير انه حبس على أثر عودته وقتل[١]. وقد روى اليعقوبي ان قطيعة ايتاخ كانت تقع في آخر شارع أبي أحمد مما يلي وادي ابراهيم بن رياح ، أي في شمالي الكرخ ودور عربايا، وكان هذا الشارع على حسب قول اليعقوبي ينتهي الى باب البستان وقصور الخليفة[٢]. ولعل قرية الايتاخية كانت من ضمن قطيعة ايتاخ المذكورة، ويحتمل أن يكون قصر بستان الايتاخية الذي ذكره ياقوت وقال انه من جملة قصور المتوكل وان كلفة إنشائه بلغت عشرة آلاف الف درهم[٣] أحد قصور الخليفة التي روى اليعقوبي ان شارع أبي احمد كان ينتهي عندها .

أما الموضع الذي كانت فيه قرية المحمدية وقصور الخليفة بالنسبة الى الاطلال المتبقية فلم نعثر على موضع تنطبق عليه الاوصاف المتقدمة غير موضع التل المعروف باسم « تل الاصيبعين » الواقع على الضفة اليمنى من القاطول الكسروي عند الكيلومتر (١٣٫٥٠٠) من صدره حيث تقع بالقرب من هذا التل في جهة الغرب أطلال عمران قديم ، ثم ان هناك تلاً آخر يقع جنوبي « تل الاصيبعين » عند الكيلومتر (١٨٫٣٠٠) من صدر القاطول يقال له « تل تمر » ، يقوم على الضفة اليمنى من القاطول أيضاً وفيه آثار قصر قديم وبالقرب منه على حافة القاطول تشاهد آثار قصر آخر كما أن هناك خرائب مجاورة تمتد غرباً حتى تتصل بالشارع الاعظم . ويغلب على الظن أن قرية المحمدية كانت في أحد هذين الموضعين . أما إذا أخذنا بقول ابن سرابيون وهو ان هناك قريتين تعرفان بالايتاخية والمحمدية

---

(١) الطبري (٣ : ١٨١٩ ، ١٨٢٤)

(٢) راجع ماتقدم في صفحة ٦٥

(٣) راجع ماتقدم في صفحة ١٠٤

فتكون هاتان القريتان في الموضعين المذكورين أي في جوار « تل الأصيبعين » و « تل تمر »

وكان المتوكل قد بنى في موضع الماحوزة بالمتوكلية قصراً فخماً سماه باسمه « القصر الجعفري » وانتقل اليه . ولا تزال بقايا هذا القصر وبركته الواسعة تشاهد على ضفة نهر دجلة في شمال السور الداخلي لمدينة المتوكلية في الزاوية التي يكوّنها نهر دجلة من جهة ونهر القاطول الكسروي من الجهة الثانية . وقد جاء وصف هذا القصر في اكثر كتب المؤرخين من العرب فقال ابو الفداء في تاريخ المختصر : « وفي سنة ست وأربعين ومائتين تحوّل المتوكل الى الجعفري وكان قد ابتدأ في عمارته سنة ٢٤٥ وانفق عليه أموالاً تجل عن الحصر ويقال لمكانه الماحوزة » . وقال ياقوت في مادة (الجعفري) : « وفي سنة ٢٤٥ بنى المتوكل الجعفري وانفق عليه الفي الف دينار وكان المتولي لذلك دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا الشرابي » . واضاف ياقوت الى ذلك قوله بان « الدراهم كانت في أيام المتوكل كل خمسة وعشرين درهماً بدينار فيكون عن الفي الف دينار خمسون الف الف درهم » . وقد أيد ياقوت ذلك في مادة (سامراء) فذكر ان كلفة «القصر بالمتوكلية، وهو الذي يقال له الماحوزة ، خمسين الف الف درهم». وأشار أيضاً في المادة نفسها الى أن هناك قصراً آخر كان يسمى « الجعفري المحدث » بلغت كلفة انشائه عشرة آلاف الف درهم . ولعل قصر المحدث هذا هو القصر الذي ذكره الطبري فقال في سيرة المنتصر ان محمدا المنتصر توفي في قصر المحدث بسامراء ، مما يدل على ان القصر المذكور يقع في سامراء وانه غير القصر الجعفري الذي بالمتوكلية .

ويلاحظ ان الطبري قد اعتبر مبلغ الالفي الف دينار ، الذي ذكر ياقوت بانه كان كلفة بناء قصر الجعفري ، شاملاً كلفة بناء المتوكلية نفسها ، وفيما يلي نص ما كتبه في هـــذا الصدد قال : « وفي سنة ٢٤٥ هـ أمر المتوكل ببناء الماحوزة

وسماها الجعفري وأقطع القواد واصحابه فيها وجدّ في بنائها وتحول الى المحمدية ليتم أمر الماحوزة وأمر بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساجها الى الجعفري وانفق عليها فيما قيل اكثر من الفي الف دينار وجمع فيها القراء فقرؤا وحضر أصحاب الملاهي فوهب لهم الفي الف درهم وكان يسميها هو وأصحابه الخاصة المتوكلية »

وقد اشتهر القصر الجعفري بحسنه وفخامة بنائه فكان مصدر وحي الشعراء والكتّاب ، وذكر ابن خلكان ان أبا العيناء محمد بن القاسم بن الخلاء الاهوازي البصري « دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ٢٤٦ فقال له ما تقول في دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك فاستحسن المتوكل كلامه » .

كما ان للشعراء في ذكر هذا القصر أشعاراً كثيرة ، ولعل أحسن ماقيل فيه وصف البحتري له في أبياته التالية : ـ

قد تم حسن الجعفري ولم يكن ... ليتم إلا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار انشئت ... في خير مبدى للانام ومحضر
في رأس مشرفة حصاها لؤلؤ ... وترابها مسك يشاب بعنبر
مخضرة والغيث ليس بساكب ... ومضيئة والليل ليس بمقمر
فرفعت بنياناً كأن منارة ... أعلام رضوى أو شواهق صيبر
أزرى على هِمم الملوك وغض من ... بنيان كسرى في الزمان وقيصر
عال على لحظ العيون كأنما ... ينظرن منه الى بياض المشترى
ملأت جوانبه الفضاء وعانقت ... شرفاته قطع السحاب الممطر
وتسير دجلة تحته ففناؤه ... من لجّة غمر وروض أخضر
شجر تلاعبه الرياح فتنثني ... اعطافه في سائح متفجر
اعطيته محض الهوى وخصصته ... بصفاء ودّ منك غير مكدّر
واسم شققت له من اسمك فاكتسى ... شرف العلو به وفضل المفخر

وقال البحتري أيضاً وهو يرثي المتوكل بعد مقتله : ـ

تغيّر حسن الجعفري وأنسه ... وقوّض بادي الجعفري وحاضره
تحمّل عنه ساكنوه فجأة ... فعادت سواء دوره ومقابره
اذا نحن زرناه أجدّ لنا الاسى ... وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

وهناك آثار قصر آخر لا يقل عن القصر الجعفري في سعة بنائه يقع جنوبي القصر الجعفري على ضفة نهر دجلة ، خارج سور المتوكلية أيضاً ، ولعله من جملة قصور المتوكل في مدينته الجديدة . ويرجح ان موضع هذه الاطلال هو مكان قصر اللؤلؤ الذي ذكر الطبري ان المتوكل انشأه في المتوكلية وانه لم ير مثله في علوه ، الامر الذي يؤيده ابن الأثير بقوله « وبنا المتوكل في المتوكلية قصراً سماه لؤلؤة لم ير مثله في علوه » . وقد ذكر ياقوت ان المتوكل انفق على بناء هذا القصر خمسة آلاف الف درهم .

وتدل الروايات التاريخية المدوّنة على ان مشروع مدينة المتوكلية الجديدة تم في اقل من عامين ، فقد شرع المتوكل في بنائها سنة ٢٤٥ هـ فأتمها في نهاية سنة ٢٤٦ هـ ، ويؤيد المؤرخون انه انتقل الى المدينة الجديدة في اليوم الاول من المحرم سنة ٢٤٧ هـ (١). وقد تكامل السرور للمتوكل بعد ذلك ، فقال « الآن علمت اني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها »(٢) .

وكان طبيعياً ان ينبري الشعراء فينظمون قصائدهم في وصف مدينة المتوكل الجديدة ، ومن اشهر ما قيل فيها قول البحتري : ـ

أرى المتوكلية وقد تعالت ... محاسنها واكملت التماما
قصور كالكواكب لامعات ... يكدن يضئن للساري الظلاما

---

(١) هذا ماذكره اليعقوبي غير أن البلاذري خالفه فقال ان المتوكل نزل المتوكلية في أول سنة ست واربعين ومائتين ، والارجح ان ماذكره اليعقوبي هو الاصح بالنظر الى تأييد بقية المؤرخين لكلامه .

(٢) « كتاب البلدان » لليعقوبي

وللبحتري قصيدة أخرى يصف فى بعض ابياتها المتوكلية منها :

يهنيك في المتوكلية انها ... حسن المصيف بها وطاب المربع
فيحاء مشرقة يرق نسيمها ... ميث تدرّجها الرياح واجرع
وفسيحة الاكتاف ضاعف حسنها ... برّ لها مفض وبحر مترع
قد سرّ فيها الأولياء اذ التقوا ... بفناء منبرها الجديد فجمّعوا
فارفع بدار الضرب باقي ذكرها ... ان الرفيع محله من ترفع (١)

ولكن للاقدار احكامها فما مضى عام واحد على انشاء هذه المدينة العظيمة حتى قضت الاقدار عليها بالموت والاقفار ، وكان ذلك على أثر قتل المتوكل في ٣ شوال من سنة ٢٤٧ هـ (٢). ولما كان المتوكل قد انتقل الى المتوكلية في اليوم الأول من المحرم سنة ٢٤٧ فيكون قد قضى فيها تسعة أشهر وثلاثة ايام فقط .

---

(١) يستدل من البيتين الاخيرين انه كان في المتوكلية جامع انشيء فيه منبر جديد كما كان فيها دار لسك النقود (راجع البحث التالي الخاص بجامع أبي دلف) .

(٢) قتل المتوكل وهو في مجلس انسه في القصر الجعفري الذي بالمتوكلية ، قتله غلام تركي اسمه باغر ، وخلاصة الحادث ان المتوكل بينما كان يشرب مع ندمائه وقد سكر اذ دخل أحد المتآمرين المسمى بغا الصغير وأمر الندماء بالانصراف فانصرفوا ولم يبق عند المتوكل الا وزيره الفتح بن خاقان ، فغلق الابواب كلها الا الباب الذي دخل منه الذين قتلوا المتوكل ، فأول من ضربه باغر فتلقاه الفتح بنفسه فأكب عليه وقتل الاثنان . والمعتقد ان قتل المتوكل تم بالاتفاق مع المنتصر أحد أولاد المتوكل ، وسبب ذلك ان المتوكل كان قد عقد لأولاده الثلاثة المنتصر والمعتز والمؤيد ولاية العهد ثم تغير على المنتصر دون اخوته وكان يسميه المنتظر ويقول له أنت تتمنى موتي وتنتظر وقتي ، وكان يأمر الندماء ان يعبثوا به الى ان أوغر صدره وقل صبره . ويوم المنتصر من ساعة مقتل المتوكل الا ان مدته في الخلافة لم تتجاوز الستة اشهر فقد قتله المماليك الاتراك أيضاً اذ دسوا الى طبيبه ليسمه ففصده بمبضم مسموم فمات . وقد رثا البحتري ويزيد المهلبي المتوكل بمرثيتين من أجود ماقيل في معناها وكانا حاضرين ليلة قتله فاختفى أحدهما في طي الباب والآخر في قناة الشاذروان .

ويلاحظ مما كتبه اليعقوبي ان المتوكل دفن في نفس القصر الذي قتل فيه (اي في القصر الجعفري) راجع الجزء الثالث من « تاريخ اليعقوبي » طبعة النجف ص ٢٠٩

وقد هجرت المدينة وقصورها بعد مقتل المتوكل فوراً وعاد ابنه الخليفة المنتصر والناس جميعاً الى سامراء .

ط ـ جامع أبي دلف

تعد بقايا « جامع أبي دلف» القائمة خارج حدود مدينة المتوكلية في نهاية الشارع الاعظم شمالاً من أبرز الخرائب في منطقة المتوكلية (راجع اللوحتين ٢ و ٧ والتصاوير ٦ و ٧ و ٨) ، على ان الآراء اختلفت في تاريخ انشاء هـذا

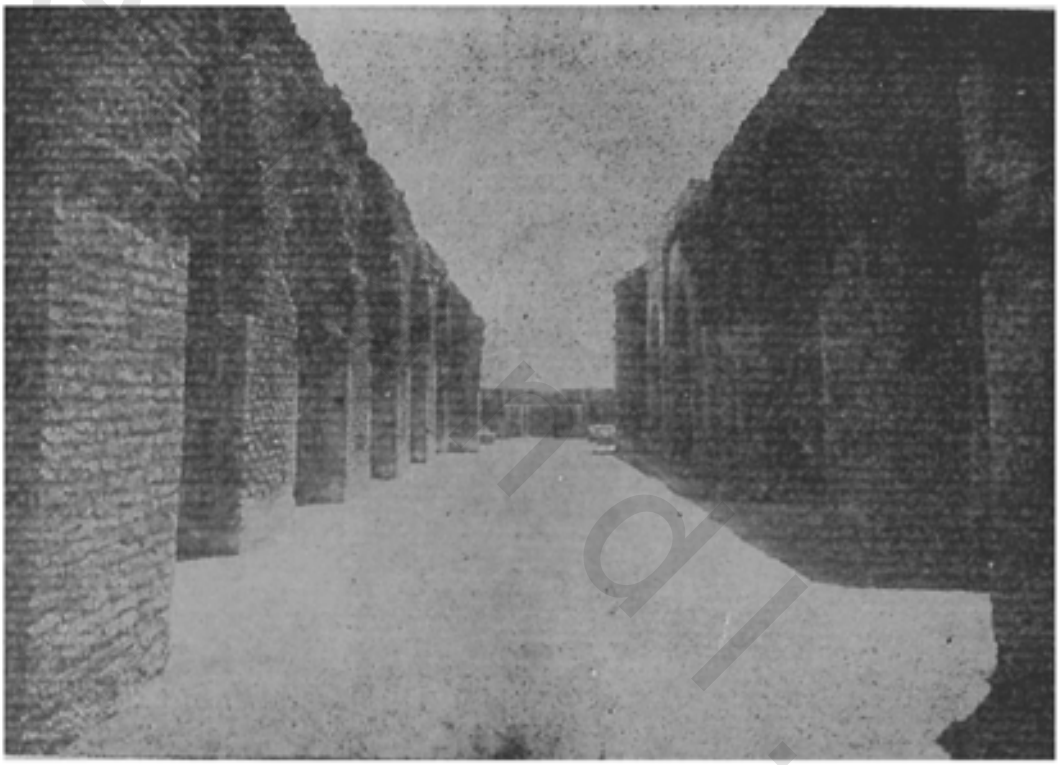

تصوير رقم ٦
جامع ابي دلف (الرواق الاوسط للمصلى بعد الترميم ورفع الانقاض)

الجامع ، فهل كان تابعاً لمدينة المتوكلية فيكون قد أقامه المتوكل أو كان قد أنشيء قبل عهد المتوكل . اما الجامع فيشبه جامع الملوية الذي بناه المتوكل شرقي سرّ من رأى في أول طرق الحير شبهاً كبيراً ، فهو مستطيل الشكل أيضاً طوله ١٥٨ متراً وعرضه ١٠٨ أمتار وله صحن مكشوف محاط من جهاته الاربع

بأروقة والى جانبه مئذنة ملوية الشكل أيضاً ذات مرقاة خارجية يبلغ ارتفاعها عن مستوى التبليط حتى القمة المتهدمة نحو ١٩ متراً .

ومع ان الاعتقاد السائد ان تاريخ انشاء هذا الجامع يعود الى عهد الخليفة المتوكل إلا انه ليس هناك ما يثبت صحة هذا الظن أو خطأه ، غير انه من المعلوم ان المنطقة التي يقع فيها هذا الجامع كانت خالية من البناء في زمن المعتصم وان مكان الجامع يقع على بعد عدة كيلومترات من شمالي حدود آخر البناء الذي

تصوير رقم ٧
جامع أبي دلف (قوسان من أقواس الرواق الاوسط للمصلى)

في الدور (دور العرباني)، فليس من المنطق اذن أن يكون هذا الجامع قد أنشيء في زمن غير زمن المتوكل ، وقد اختير مكانه هذا ليكون متوسطاً بين قصور المتوكلية من جهة وحدود البناء القديم الذي في الدور من الجهة الثانية ، ومما يؤيد ذلك أيضاً قول البلاذري بان المتوكل أحدث المتوكلية « وجعلها فيما بين

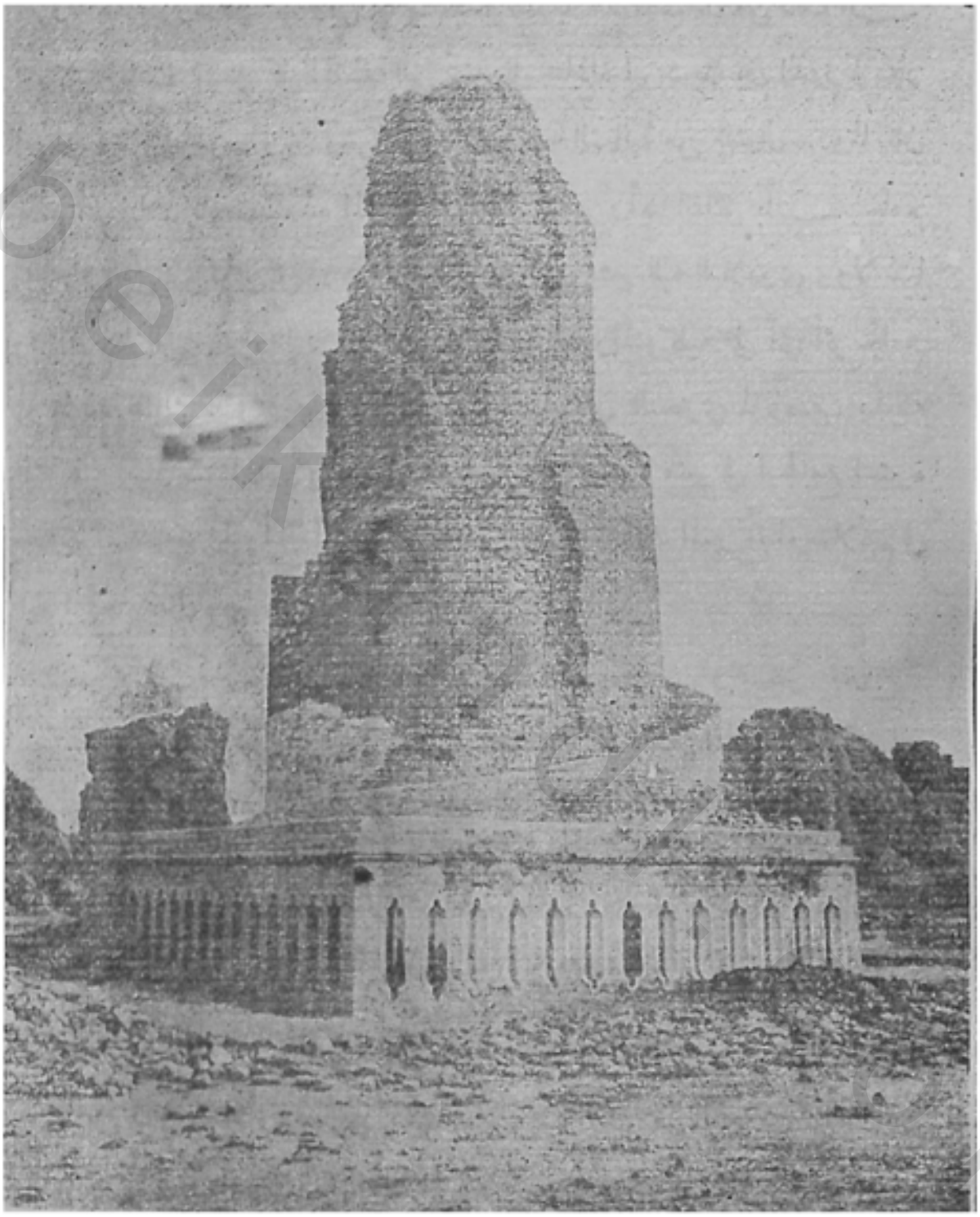

تصوير رقم ٨

ملوية جامع أبي دلف بعد ترميم القاعدة ورفع الانقاض

الـكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحوزة فيها ، وبنى بها مسجداً جامعاً » . فيستدل من ذلك أن المتوكلية كانت تشمل كل المنطقة التي تمتد على محاذاة نهر دجلة بين الدور (دور العرباني) من الجنوب وبين آخر حدود المتوكلية الشمالية من الشمال . ولما كان جامع أبي دلف يتوسط هذه المنطقة فلا مجال لتغيير رأينا القائل بأن جامع أبي دلف من عمل المتوكل، وهو نفس الجامع الذي يشير اليه البلاذري ، ولا سيما واننا لم نعثر أثناء تحرياتنا للابنية الواقعة داخل سور المتوكلية على أي أثر لجامع أو مئذنة هناك . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان البحتري لما وصف مدينة المتوكلية أشار ضمناً الى وجود جامع فيها والى وجود منبر في الجامع اعتبره جديد الانشاء ، وأن الاولياء كانوا يلتقون في فناء ذلك المنبر أثناء صلاتهم في أيام الجمع ، فقال وهو يصف المتوكلية : ـ

وفسيحة الاكناف ضاعف حسنها بِرّ لها مفض وبحـر مترع
قد سرّ فيها الاولياء إذ التقوا بفنـاء منبرها الجديد فجمّعوا

ومما يؤيد ان الجامع المذكور هو جامع أبي دلف نفسه ان دائرة الآثار العراقية اهتدت في أثناء تنقيباتها في أبنية الجامع الى وجود محرابين هناك يقع احداهما على ظهر الآخر، وعلى رأيها انه يحتمل ان الأول مشيد عند التأسيس وبعد اكمال تشييد الجامع وجد من الضروري تصغيره حيث انشيء منبر جديد يشغل جزءاً من المحراب الأول . ولعل ذلك هو السبب الذي حمل البحتري على أن يطلق على المنبر اسم « المنبر الجديد » باعتبار انه انشيء بعد مضي بعض الوقت على إنشاء الجامع[1] .

---

(١) راجع البحث المفصل عن جامع أبي دلف في مجلة « سومر » ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، كانون الثاني ١٩٤٧ ص (٦٠ـ٧٦) .

ى - مشروعات الري في عهد المتوكل

من أهم الاعمال التي تمت على عهد المتوكل المتصلة بتنسيق وتخطيط مدينة سامراء وضواحيها مشروع القناة (قناة سامراء) الذي يؤمن سحب المياه من دجلة وايصالها الى مختلف المواقع في المدينة . ويشتمل هذا المشروع على قناة خفية تستمد مياهها من نهر دجلة في شمالي الدور (دور تكريت) فتسير مسافة حوالي أربعين كيلومتراً حتى تصل الى قلب العاصمة (سرّ من رأى)، وقد مدها المتوكل الى الجنوب حتى جوار القادسية . وبفضل هذه القناة تمكّن المتوكل من انجاز مشاريعه الجبارة في قلب العاصمة والتوسع شرقي مدينة سامراء باتجاه منطقة الحير ، ومن أهم هذه المشاريع مشروع إنشاء حلبة السباق التي في الحير (حلبة تل العليق) وهي الحلبة التي أمّن وصول المياه اليها من دجلة[١] ، ثم مشروع انشاء بركتي قصر الخليفة (دار الخليفة)[٢] . وان هذه القناة هي التي مكّنت المتوكل من تموين المسجد الجامع (جامع الملوية) الذي انشأه في أول الحير بالمياه الدائمة فجعل فيه على حسب قول اليعقوبي « فوّارة ماء لاينقطع ماؤها »[٣] .

ولكي يؤمن المتوكل ايصال المياه الى حير الحيوانات ، الذي انشأه جنوبي شرقي مدينة سامراء ، والى البركة الجعفرية (بركة البحتري) التي في الحير المذكور قام بمشروع ري خاص لتحقيق ذلك ففتح نهراً يقال له « نهر نيزك » يستمد المياه من القاطول الاعلى الكسروي وينتهي الى الحير والبركة . ولتموين النهر بالمياه الدائمة ورفع مستوى المياه في القاطول انشأ ناظماً قاطعاً على القاطول

---

(١) حول الحلبة المذكورة راجع البحث الذي تقدم في صفحة ٢١

(٢) حول البركتين المذكورتين راجع البحث الذي يلي في الفصل الخامس وما تقدم في ص ٦٨ و ٧٠

(٣) حول مشروع القناة المذكورة راجع البحث التالي في الفصل الخامس وما تقدم في ص ١١٩

فأمن بذلك تنظيم المياه في ذلك المكان حسب المقتضى [١]

وأخيراً علينا أن نشير الى مشروع « نهر الجعفري » وهو المشروع الذي انشيء لايصال المياه الى مدينة المتوكلية سيحاً . ويشتمل هذا المشروع على حفر جدول من ضفة دجلة اليسرى في نقطة تقع على بعد حوالي اربعين كيلومتراً من شمال تكريت فيسير جنوباً على محاذاة نهر دجلة مسافة حوالي ستين كيلومتراً حتى يصل المتوكلية . وكان الجدول المذكور يموّن بركة القصر الجعفري بالمياه وعلاوة على تموين مدينة المتوكلية بالمياه ، كان يموّن السواقي التي على جانبي الشارع الاعظم الذي يمتد بين « المتوكلية » و « كرخ أشناس » ، كما كان يموّن أيضاً جامع أبي دلف بالمياه [٢] (راجع لوحة رقم ١). ولكي يستطيع المتوكل الشروع بانشاء مدينة المتوكلية وايصال المياه الى أماكن العمل دون أن يضطر الى الانتظار حتى ينتهي من مشروع النهر أنشأ قناة تسحب المياه من أعالي نهر دجلة وتحملها الى نواحي العمل في المدينة . وتبدأ هذه القناة (قناة المتوكلية) من ضفة دجلة اليسرى بالقرب من التلول المسماة « تلول هطرة » الواقعة شرقي حدود حاوي البو عجيل في نقطة تقع على بعد حوالي اثنى عشر كيلومتراً من شمالي الدور (دور تكريت) وحوالي ثمانية كيلومترات من جنوبي مدينة تكريت [٣] ، ثم تمتد الى موازاة قناة سامراء من شرقيها فتخترق الدور وتتابع

---

(١) راجع البحث الذي يلي في الفصلين السادس والسابع .

(٢) حول النهر الجعفري ، راجع البحث الذي يلي في الفصل الثامن

(٣) ان « تلول هطرة » المذكورة كانت موضع قرية « هاطرى » القديمة ، وهي القرية التي ذكر ياقوت ان « بينها وبين الجعفرى الذى عند سامراء (أى القصر الجعفرى الذى في المتوكلية) ثلاثة فراسخ وهي دون تكريت واسفل الدور الاعلى المعروف بالخربة (أى دور تكريت) وكان اكثر اهلها اليهود » . وهذا يتفق مع المسافة الحالية بين تلول هطرة واطلال القصر الجعفرى .

سيرها الى جانب قناة سامراء حتى إذا ماقطعت مسافة حوالي أربعة كيلومترات جنوبي الدور انحرفت الى الغرب واتجهت نحو مدينة المتوكلية . وتقطع القناة في طريقها الاخير قناة سامراء كما انها تقطع القاطول الاعلى الكسروي في نقطة تقع على بعد حوالي سبعة كيلو مترات من الدور . ولا تزال آثار شبكة الكهاريز الفرعية التي تتفرع من القناة المذكورة ماثلة للعيان يمكن مشاهدتها في مواضع عديدة داخل مدينة المتوكليه .

obeikandl.com